اسم الإشارة فى القرآن الكريم
بين النحاة والبلاغيين
الموقع والدلالة

د. علاء محمد رأفت

كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

توزيع

دار الثقافة العربية

٣ ش المبتديان ـ السيدة زينب ـ القاهرة

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الكرام .

وبعد ...

فهذا بحث فى **اسم الإشارة فى القرآن الكريم بين النحاة والبلاغيين من حيث الموقع والدلالة** ، استلهمت فكرته من مطـــالعتى لكتـب التفســير وبخاصة التى يهتم مؤلفوها بالجانب الدلالى والبلاغـــى والنحـــوى ، حيـــث وجدتُ تناولهم لاسم الإشارة فيه نوع من التميّز والثراء وبُعد عـــن جفـــاف القاعدة ، وما يعنيه كل اسم على حدة ، كما استخدمه النحاة بصورة مجـــردة وبعيدة عن السياق ، فخلصت النية على تتبع هذا الموضـــوع بيـــن النحـــاة والبلاغيين ولم شتاته فى مكان واحد ، وكان وراء هذا الدافع عـــدة دواعـــى وغايات منها على سبيل الإجمال :

١ـــ أن هذا الموضوع إنما يستمد أهميته وقيمته الكبرى من القرآن الكريـــم ذاته إذ هو المصدر لمادته .

٢ـــ ربط الدرس النحوى بالدرس البلاغى من خلال أجلّ نص وهو القـــرآن الكريم وذلك لخدمة القرآن الكريم .

٣ـــ محاولة الخروج بالدرس النحوى من دائرته المعهـــودة وســـبر أغـــوار نحـــو النص وتغليب الجانب التطبيقى على الجانب النظرى والتقعيدى .

٤ـــ بيان عظمة علمائنا الأفذاذ فى تناول الجوانب النظرية والمجـــردة فـــى القواعد وتوظيفها داخل النصوص اللغوية المختلفة .

ولذا جاء البحث فى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اسم الإشارة عند النحاة ، وفيه تنـــاولت التعريـــف باسم الإشارة لغة واصطلاحاً ، وتقسيمه عند النحاة بحســـب المشـــار إليـــه ولواحقه والإشارة إلى الظرف واستعمالاته فى الأساليب العربيـــة ومواقعـــه الإعرابية فى القرآن الكريم والقراءات المتواترة والشاذة .

المبحث الثانى : اسم الإشارة عند البلاغيين ، وتناولت فيه الأسرار الدلالية والبلاغية لاسم الإشارة من جانبين : جانب تعريف المسند إليه الذى يتنوع تعريفه إلى جميع أنواع المعارف ، وجانب إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر وفصلت فى كل جانب الأسرار والمعانى التى يؤديها استخدام اسم الإشارة فى كل موضع .

المبحث الثالث : اسم الإشارة بين النحاة والبلاغيين ، وفيه عرضت لتجربة عبد القاهر الجرجانى والزمخشرى والسكاكى فى تناول اسم الإشارة، الأوليان من حيث إنهما نحويان وبلاغيان، والثالث من حيث كونه بلاغياً . وبينت كيف أن عبد القاهر الجرجانى يعد أول من وضع لبنة دراسة أحوال المسند إليه ، ومنها تعريفه باسم الإشارة ، ثم جاء الزمخشرى وتوسع فى ذلك مترسماً خطاه ، وأخيراً جاء السكاكى جامعاً لكل تلك المحاولات فى كتابه مفتاح العلوم .

وختمت البحث بأهم النتائج من تلك الدراسة . وذيلت ذلك بفهرس المراجع وفهرس الموضوعات .

وفى تناولى لهذا الموضوع حرصت على الاستعانة بآراء العلماء من لغويين ونحاة وبلاغيين ومفسرين وأصحاب المصادر التى عنيت بدراسة علوم القرآن الكريم من نحو وتفسير وبلاغة ومتشابه ونحو ذلك مما له مدخل فى توجيه النصوص وبخاصة ما يتعلق باسم الإشارة لا لتحكيم هذه الآراء فى القرآن الكريم ولا لتأييده ودعمه ، فليس القرآن الكريم فى حاجة إلى شئ من هذا ، لأنه كتاب العربية الأكبر المقدم لغة وتراكيب وبلاغة وأساليب، بل لتكون هذه الآراء مدخلاً يلقى بعض الضوء فى طريق دراسة اسم الإشارة فى القرآن الكريم ، ثم ليكون ما جاء منها فيه على ضوء دلالتها وخصائص استعمالها نموذجاً أعلى وأولى بالاتباع .

وفى النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت . وعلى الله قصد السبيل .

المبحث الأول

اسم الإشارة عند النحـــاة

التعريف باسم الإشارة :

أولاً : لغة : " الإشارة فى اللغة من (شور) ، يقال : أشـــار الرجــل يشير إشارة إذا أومأ بيديه ، ويقال : شورت بيدى وأشرت إليه، أى لوحـــت إليه وألحت أيضاً ، وأشار إليه باليد ، أومأ ، وأشار عليه بالرأى ، وأشـــار يشير إذا ما وجّه الرأى " [1] .

واضح مما سبق أن معنى الإشارة فى اللغة يفيد الإيماء إلى حــاضر بجارحة أو ما يقوم مقام الجارحة فيتعرف بذلك [2] .

ومما تجب ملاحظته من التعريف أن الإشارة نفسها لابد أن تكـــون حسيّة ، أما مدلولها ؛ وهو المشار إليه ، فالغالب أن يكون شيئاً محسوسا كأن تشير بأحد أصابعك إلى رجل أو امرأة ، وتقول: هذا رجل ، وهذه امــرأة ، وقد يكون شيئاً معنوياً ، كأن تتحدث عن رأى ، أو مسألة فى نفسك ، وتقول هذه قضية تتطلب الوقوف أمامها أو هذا رأى أسارع بتحقيقه .

ثانياً : التعريف فى الاصطلاح : أما عــن التعريــف الاصطلاحــى فيذهب النحاة إلى أنه " اسم يعين مدلوله تعيناً مقروناً بإشارة حســيّة إليـــه، وهى التى بأحد الأعضاء " [3] .

ويذهب ابن يعيش فى تعريفه بقوله : " فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصاً يعرفه بحاسة البصر ، وسائر المعارف هـــو أن تختــص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه ، فلذلك قال النحويـــون إن أســماء الإشـــارة

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (شور) نسخة دار المعارف .
(٢) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١٢٦/٣ .
(٣) انظر حاشية الصبان على الأشمونى ١٣٨/١ .

تتعرف بشيئين بالعين وبالقلب " [١] .

ويذهب أحد المحدثين إلى أنه " الاسم المبهم الموضوع المشار إليه إشارة حسيّة بأحد الأعضاء، وهو أحد المعارف السبعة التي ذكرها النحاة"[٢].

وقديماً أطلق النحاة على أسماء الإشارة اسماً خاصاً هو المبهمات [٣]، لوقوعها على كل شئ من حيوان ، أو نبات ، أو جماد وعدم دلالتها على شئ معين إلا بأمر خارج عن لفظها، هذا معنى الإبهام فيها لا أن المراد به التنكير ؛ لأن أسماء الإشارة معرفة .

المشار إليه بين الحسيّة والعقلية :

ذكر الإمام السكاكى [٤] أن المشار إليه باسم الإشارة إما مدرك بالبصر أو منزل منزلته ، وتحقيقه على ما فُصِّلَ فى بعض شروح الكافية : أن المعتبر فى أسماء الإشارة هو الإشارة الحسيّة .

فالأصل فيها أن يشار بها إلى محسوس مشاهد قريب أو بعيد، فإن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه نحو قوله تعالى: " ذَلِكُمُ اللَّهُ"[٥]، أو إلى محسوس غير مشاهد [٦] نحو قوله تعالى : " تِلْكَ الجَنَّةُ " [٧] ، فلتصييره كالمشاهد فإن كل غائب عيناً كان أو معنى إذا ذكر جاز أن يشار إليه بلفظ

---

(١) شرح المفصل ١٢٦/٣ .

(٢) انظر معجم المصطلحات النحوية والصرفية د / محمد سمير نجيب اللبدى ص / ١٢٠ .

(٣) قال سيبويه : " وأما الأسماء المبهمة فنحو هذا ، وهذه ، وهذان ، وهاتان ، وهؤلاء ... وما أشبه ذلك ، وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشئ دون سائر أمته "، الكتاب ٥/٢ ، وانظر المقتضب للمبرد ١٨٦/٣، وشرح المفصل ١٢٦/٣، والأشباه والنظائر للسيوطى ٥٤/٢ ، والشكل والدلالة للدكتور عبد السلام حامد / ١٥٧ .

(٤) انظر حاشية السيد الشريف على الكشاف ١٠٨/١ ، ١٠٩ .

(٥) سورة فاطر الآية (١٣) .

(٦) انظر حاشية عبد الحكيم على المطول ص / ١٤٦ ، ١٤٧ بتصرف .

(٧) سورة مريم الآية (٦٣) .

البعيد نظراً إلى أن المذكور غائب تقول : جاءنى رجل فقال ذلك الرجل وتضاربوا ضرباً شديداً فهالنى ذلك الضرب ، وجاز على قلة أن يشار إليه بلفظ القريب نظراً إلى قرب ذكره فتقول: هذا الرجل ، وهذا الضرب، "وكذلك يجوز لك فى القول المسموع عن قريب أن تشير إليه بلفظ البعيد ، لأنه زال سماعه فصار فى حكم البعيد ، كقولك بالله الطالب الغالب، وذلك قسم عظيم لأفعلن كذا ، قال تعالى : " كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ " (١) ، مشيراً " بذلك " إلى ضرب المثل الحاضر المتقدم وهو قوله : " ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ " (٢) .

وإنما جاز ذلك لأن ذلك اللفظ زال سماعه فصار فى حكم الغائب البعيد والأغلب فى مثله الإشارة إلى المعنى بلفظ الحضور فتقول : " وهذا قسم عظيم " ، وكذلك يجوز الإتيان بلفظ البعيد مع أن المشار إليه شخص قريب نظراً إلى عظمة المشير أو المشار إليه ، وذلك لأنه يجعل بعد المنزلة بينهما كبعد المسافة كقول السلطان لبعض الحاضرين : ذلك قال كذا ، وكقول بعضهم : ذلك السلطان يتقدم بكذا ، ومنه قوله تعالى : " فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ " (٣) .

ويجوز أن يكون قوله تعالى : " ذَلِكَ الْكِتَابُ " (٤) من باب عظمة المشار إليه أو المشير ... ويجوز ذكر البعيد بلفظ القريب تقريباً لحصوله وحضوره ، نحو : هذه القيامة قد قامت ونحو ذلك . وبالجملة لما كان اسم الإشارة موضوعاً للمشار إليه إشارة حسيّة فاستعماله فيما لا تدركه الإشارة كالشخص البعيد والمعانى مجاز ، وذلك يجعل الإشارة العقلية كالحسيّة مجازاً لما بينهما من المناسبة، فلفظ اسم الإشارة الموضوع للبعيد إذن أعنى "ذلك" ونحوه كضمير الغائب يحتاج إلى المذكور قبل أو محسوس قبل حتى يشار

---

(١) سورة محمد الآية (٣) .
(٢) سورة محمد الآية (٣) .
(٣) سورة يوسف الآية (٣٢) .
(٤) سورة البقرة الآية (٢) .

إليه به فيكون كضمير راجع إلى ما قبله " [١] .

وكون الإشارة حسيّة يستلزم كون المشار إليه محسوساً بالبصر حاضراً فاستعماله فى غيره مجاز بالاستعارة التصريحية الأصلية أو التبعية على خلاف ذلك [٢] .

فمن نظر إلى أن اسم الإشارة موضوع للكلى ومستعمل فى الجزئى أدخل الاستعارة فى الأصلية لشمول تعريف اسم الجنس لها وحينئذ يشبه غير المدرك بالبعيد بجامع عدم إدراك كل بحاسة البصر ثم استعمل اسم المشبه به فى المشبه أو يشبه الأمور العقلية بالأمور الحسيّة فى تفاوت المراتب .

ومن نظر إلى أنه موضوع للجزئى ومستعمل فيه أيضاً أدخل الاستعارة فى التبعية وحينئذ يشبه المعقول المطلق بالمحسوس المطلق فى قبوله التمييز والوضوح فسرى التشبيه إلى الجزئيات واستعار اسم الإشارة الموضوع للمحسوس الجزئى للمعقول الجزئى .

تقسيم أسماء الإشارة عند النحاة :

تنقسم أسماء الإشارة بحسب المشار إليه إلى قسمين :

١ـ قسم يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية أنه مفرد ، أو مثنى أو جمع مع مراعاة التذكير والتأنيث ، والعقل ، وعدمه فى كل ذلك .

٢ـ قسم يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية قربه ، أو بعده ، أو توسطه بين القرب والبعد .

أما القسم الأول فيتفرع إلى خمسة أنواع :

١ـ ما يشار به للمفرد المذكر مطلقاً (عاقلاً كان أو غير عاقل)، وأشهر أسمائه " ذا " ، وهو مبنى على السكون فى محل رفع أو نصب أو جر حسب موقعه من الإعراب .

---

(١) انظر شرح الكافية للرضى ٢/٣٢ـ٣٣ بتصرف .
(٢) انظر الرسالة البيانية للصبان حاشية الإنبابى ص / ٣٩٨ .

واختلف حول أصل اسم الإشارة (ذا) ، هل هو (ذا) أم الذال فقط ؟[١]

ذهب البصريون إلى أن (ذا) هو اسم الإشارة ، وذهب الكوفيون إلى أن الاسم إنما هو (الذال) وحدها ، والألف مزيد لتكثير الكلمة ، قالوا : والدليل على ذلك قولهم فى التثنية ذان وذين فحذفوا الألف لقيام حرف التثنية مقامها فى التكثير وأفسد هذا الرأى جمع كبير من العلماء .

٢ــ ما يشار به للمفردة المؤنثة مطلقاً ، (أى عاقلة أو غير عاقلة سواء أكانت مفردة حقيقة أم حكماً) مثل الفرقة والجماعة ، وهو عشرة ألفاظ خمسة مبدوءة بالذال وهى ذِه ، ذى ، ذِهِ بكسر الهاء مع اختلاس كسرتها ، ذِهِ بكسر الهاء مع إشباع الكسر نوعاً ، ذات ، وهى أغربها ، وإنما المشهور استعمال (ذات) بمعنى صاحب ، أو بمعنى (التى) فى لغة بعض طئ حكى الفراء [٢] : بالفضل ذو فضّلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله بها ، أى التى أكرمكم الله بها ، فلها حينئذ ثلاثة استعمالات [٣] :

١ــ الإشارة بها إلى المفردة المؤنثة .

٢ــ استعمالها بمعنى صاحبة .

٣ــ استعمالها اسماً موصولاً بمعنى " التى " وبقى لها استعمال رابع وهو : أن تكون اسماً بمعنى حقيقة الشئ وماهيته تقول : ذات الإنسان إنه حيوان مفكر تريد أن هذه حقيقته وماهيته ، وقد استعملت فى معنى نفس الشئ فقيل : هذه ذات متميزة ، وهذه ذات محدثة [٤] .

---

(١) راجع هذا الخلاف بالتفصيل فى الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى المسألة الخامسة والتسعون ٢/٦٦٩ ــ ٦٧٥ ، والجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى / ٢٣٨ــ٢٤٠ ، وشرح الكافية للرضى / ٣٠ ، ٣١ ، وارتشاف الضرب لأبى حيان ١/٥٠٥، وشرح المفصل ٣/١٢٧، وشرح ابن عقيل ١/١٣٠، واللسان (حرف الذال).
(٢) انظر لسان العرب (باب الذال) .
(٣) انظر قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص / ٩٩ .
(٤) سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى ص / ٩٩ .

وخمسة مبدوءة بالتاء هى : تى ، تا ، تِهْ ـ تِهِ بكسر الهاء مع اختلاس الكسرة ، تِهِ بكسر الهاء مع إشباع الكسرة نوعاً ، مع ملاحظة أنّ "ذه ، ته " مبنيان على الكسر ، والألفاظ الباقية مبنية على السكون والجميع فى محل رفع أو نصب أو جر على حسب موقعها من الجمل .

٣ـ ما يشار به للمثنى المذكر مطلقاً ، وهو لفظة واحدة (ذان) رفعاً وتصير (ذين) نصباً وجراً .

٤ـ ما يشار به إلى المثنى المؤنث مطلقاً ، وهو لفظة واحدة "تان " رفعاً و " تين " نصباً وجراً .

٥ـ ما يشار به للجمع مطلقاً ، وهو لفظة واحدة " أولا " ممدودة فى الأكثر أو : " أولى " مقصورة .

والمد لغة أهل الحجاز وبه ورد القرآن الكريم كقوله تعالى : "هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ " (١) ، وكقوله : " هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَـــةً " (٢) ، والقصر لغة تميم .

وأكثر استعمال " أولاء ـ أولى " للعقلاء ومن ورودها لغير العقلاء قوله تعالى : " إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً " (٣) .

وقول جرير :

ذُمِّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوى   وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ(٤)

وفى الحالتين (المد والقصر) لابد لها من محل إعرابى ، ولابد من بنائها غاية ما هنالك أنها إذا كانت ممدودة تبنى على الكسر حسب موقعها

---

(١) سورة محمد الآية (٣٨) .

(٢) سورة الكهف الآية (١٥) .

(٣) سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٤) لم أعثر عليه فى الديوان، انظر معانى القرآن للأخفش ٩٧/١، والمقتضب ١٨٥/١، وشرح المفصل ١٢٦/٣ ، ١٣٣ ، ١٢٨/٩ ، ١٢٩ ، وشرح ابن عقيل ١٣٢/١ .

فى الجملة ، وإذا كانت مقصورة تبنى على السكون .

والقسم الثانى :

ما يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية قربه ، أو بعده ، أو توسطه بين القرب والبعد ــ مع ملاحظة أن تقدير القرب والبعد والتوسط متروك للعرف الشائع عند المتكلم ومن معه ــ فإنه ثلاثة أنواع ولكل نوع ألفاظ تستعمل معها .

فيشار للقريب باسم الإشارة مجرداً من الكاف واللام نحو : ذاوتا ، ويشار إلى المتوسط بما فيه الكاف وحدها نحو : ذاك ، وتاك.

ويشار إلى البعيد بما فيه الكاف واللام نحو : " ذلك ، وتلك ، ونحو : أولالك " على لغة القصر عند تميم [1] ، نحو قول الشاعر :

أُولاَلِكَ قَوْمِى لَمْ يَكُونُوا أُشَابَةً   وَهَلْ يَعِظُ الضِّلِّيلَ إلاَّ أُولاَلِكَا[2]

دون " أولاء " الممدودة التى هى اسم إشارة للجمع فلا يقال : أولاءلك ؛ كراهة كثرة الزوائد .

وقد يستعمل (ذلك) فى موضع (ذلكم) كما فى قوله تعالى : "ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا) " [3] ، وقوله تعالى : " ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ " [4] .

كما قد يشار بما للواحد إلى الاثنين كقوله تعالى: "عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ"[5]، وإلى الجمع كقوله تعالى : " كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ " [6] بتأويل المثنى والمجموع بالمذكور .

---

(١) انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ٩٧/١ .
(٢) انظر شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى ١٢٩/١ ، وهداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٩٧/١.
(٣) سورة النساء الآية (٣) .
(٤) سورة النساء الآية (٢٥) .
(٥) سورة البقرة الآية (٦٨) .
(٦) سورة الإسراء الآية (٣٨) .

وهذه ظاهرة قرآنية جرى عليها الاستعمال القرآنــي وتدخـل فيمـا عرف عند أصحاب علوم القرآن بوجوه المخاطبات ، والخطاب فى القــرآن الكريم [١] . وفيها تكون دلالة اسم الإشارة على الجمع أو المثنى أقوى وأبلغ من دلالة الجمع على الجمع ؛ لأنه فى هذه الحالة يدل على استيعاب الجمــع فرداً فرداً دون أن يشذ أحدهم .

ومما سبق يتضح : أن لكل مشار إليه اسم إشارة يناسبه وأن كل اسم إشارة مقصور على مشار إليه بعينه ما لم يكن هنالك داع يغير ذلــك ، وأن جميع أسماء الإشارة مبنية إما على السكون أو غيره حسب موقعها الإعرابى فى الجمل، وليس فيها معرب إلا كلمتين هما (ذان ، وتان) فيعربان إعــراب المثنى .

لواحق اسم الإشارة :

يلحق اسم الإشارة ثلاثة أحرف :

١ـ هاء التنبيه . ٢ـ لام البعد . ٣ـ كاف الخطاب . وهاك البيان :

١ـ هــاء التنبيه [٢] :

وسميت بذلك إما إشعار غير الغافل إلى أهمية ما بعدها وجلال شأنه، وإما تنبيه الغافل إلى ما بعدها ، وتوجيهه إلى ما سيذكر ليتفرغ لــه ويقبـل عليه .

وفائدة دخولها على اسم الإشارة كما يقول ابن يعيش [٣] : "ها كلمـة تنبيه وهى على حرفين كلا وما ... فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة فـــى إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة وقالوا : هذا ، وهذه، وهاتــه ، وهاتا ...

---

(١) انظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٧٤٤/٢ـ٧٥٢ .
(٢) راجع المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى / ٥٤٨ ، وحاشية الصبان ١٤٤/١.
(٣) انظر شرح المفصل ١٣٦/٣ .

ويقول عمران بن حطّان :

وَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا مَهَاةٌ   وَلَيْسَتْ دَارُنَا هَاتَا بِدَارِ [١]

فـ " ها " للتنبيه و" ذا " للإشارة والمراد : تنبه أيها المخاطب للمشار إليه ، وتسقط ألفه في الخط لكثرة الاستعمال وهى ثابتة لفظاً.

وليست فائدة دخول " ها " للتنبيه على اسم الإشارة مقصورة على تعظيم الأمر كما يقول ابن يعيش ، فقد ورد في الشعر العربى ما يخالف ذلك.

وذلك في قول الشاعر [٢] من قصيدة طويلة :

تَقُولُ وَصَكَّتْ نَحْرَهَا بِيَمِينِها   أَبَعْلِى هَذَا بِالرَّحَى المُتَقَاعِسُ؟!

فالشاهد هنا قوله : " أبعلى هذا ؟ " فإن صاحبته قد عبرت عنه باسم الإشارة للقريب المتصلة به " ها " التنبيه إشارة منها إلى دنو منزلته والتصاقه بالتراب متقاعساً يطحن بالرحى شأن الخدم والعبيد.

وتدخل " ها " التنبيه على أسماء الإشارة المجردة من اللام والكاف نحو : هذا ، وهذه ، وهذان ... ههنا .

ذ وهذه حقيقة استعمالية لا اعتراض فيها ، وتتصل بالمصاحب للكاف وحدها نحو : هذاك ، وهاتيك ، ونحو قول طرفه [٣] :

رَأَيْتُ بَنِى غَبْرَاءَ لا يُنْكِرُونَنِى   وَلاَ أَهْلُ هَذَاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ

ولكن هذا الثانى قليل ولعل السر في هذا أن الخطاب في أصله لمعين مشاهد وبذا يغنى توجيه الخطاب لمعين عن تنبيهه بالهاء .

---

(١) انظر مختار الصحاح مادة (م هـ هـ) ، وشرح المفصل ١٣٦/٣ .

(٢) الشاعر هو الهذلول بن كعب العنبرى ، انظر شرح ديوان الحماسة لأبى تمام ١١٦/٢ ، والنظم البلاغى للدكتور / حسن إسماعيل ص / ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

(٣) انظر الديوان ص / ٢٥، والجنى الدانى / ٣٤٧ ، وحاشية الصبان ١٤٤/١.

ولا تتصل " ها " التنبيه باسم الإشارة المقرون باللام والكاف فلا يقال : " هذالك " ، ولا " هاتالك " وهكذا كراهة كثرة الزوائد [١] ، ولأن اللام قد أكدت معنى الإشارة [٢] ، أو ؛ لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يقترن بها من إشارة المتكلم الحسيّة إلى المشار إليه فجيئ في أوائلها بحرف ينبه به المتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه وينظر إلى أى شيئ يشير من الأشياء الحاضرة ، فلا جرم لم يؤت به إلا فيما يمكن مشاهدته وإبصاره من الحاضر والمتوسط لا في البعيد الغائب ، وكان مجيئه في الحاضر أكثر منه في المتوسط فـ " هذا " أكثر استعمالاً من هـ " ذاك " ؛ لأن تنبيه المخاطب لإبصار الحاضر الذى يسهل إبصاره أولى من تنبيهه لإبصار المتوسط الذى يحول بينه وبين المتكلم حائل ، ولم يدخل في البعيد الذى لا يمكن إبصاره إذ لا ينبه العاقل أحداً ليرى ما ليس بمرئى ، ولذلك قالوا : لا يجتمع (ها) مع (اللام) [٣] .

ـ الفصل بين (ها) التنبيه واسم الإشارة :

يفصل بين (ها) التنبيه واسم الإشارة كثيراً في الأساليب العربية بالضمير [٤] سواء أكان للمتكلم أم المخاطب أم الغائب نحو : ها أناذا ، وها نحن أولاء، وها أنت ذا ، وها أنتم أولاء ، وهاهوذا ، وهاهماذان ، وهاهن أولاء .. الخ .

وهذا في المجرد من الكاف وأما نحو : " ها أنا ذاك " فممتنع مع أن (ها) التنبيه تدخل على (ذاك) ؛ لأن لحاق (ها) له قليل فلم يحتمل التوسع أو؛ لأن (أنا) للمتكلم والكاف للخطاب فكيف يجمع بينهما في لفظ واحد ؛ لأن أصل العبارة: (هذا أنا) ، ويشير الرضى إلى العلة المصححة للفصل فيقول :

---

(١) انظر الجنى الداني للمرادى / ٣٤٧ ، وحاشية الصبان ١٤٢/١.
(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١/١ .
(٣) انظر شرح الكافية للرضى ٣٢/٢ بتصرف .
(٤) انظر حاشية الصبيان ١٤٥/١ ، ١٤٦ .

ما ملخصه : تعويلاً على العلم باتصال الها باسم الإشارة لكثرة استعمال الهاء معه [١] .

ـــ وللفصل بالضمير مزايا منها :

تحقيق أو تقرير المشار إليه وتوكيده والعناية به لأنه بدأ العبارة بـــ (ها) التنبيه ثم أشار إلى الضمير بـــ (ذا) .

وقد يقع الفصل بين (ها) التنبيه واسم الإشارة بغير الضمير ، كالقسم بالله نحو : ها ـــ والله ـــ ذا الرجل مهذب .

أما الفصل بينهما بكاف التشبيه فكثير مثل : هكذا [٢] .

وقد تعاد (ها) التنبيه بعد الفصل [٣] توكيداً للتنبيه وتقوية له كقوله تعالى : " هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " [٤] . وقوله تعالى : "هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ " [٥] . وقوله تعالى " هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " [٦] .

ومما سبق يتضح أن (ها) التنبيه تمتنع فى المواضع الآتية:

١ـــ مع لام البعد ولعل السر فى هذا أن " الهاء " للتنبيه على المشار إليه القريب واللام للمشار إليه البعيد واجتماعهما يؤدى إلى التناقض ، إذ كيف يكون المشار إليه قريباً وبعيداً فى وقت واحد .

أو : لأن البعيد لا يرى فكيف ينبه عليه .

أو : قد استعيض عن الهاء باللام الدالة على البعد .

---

(١) شرح الكافية للرضى ٣٣/٢ـــ٣٤ بتصرف .
(٢) فى علم النحو د / أمين السيد ١٣٧/١ .
(٣) الكتاب ٣٥٤/٢ ، وحاشية الصبان ١٤٦/١ ، وارتشاف الضرب ٥٠٧/١ .
(٤) سورة النساء الآية (١٠٩) .
(٥) سورة آل عمران الآية (٦٦) .
(٦) سورة محمد الآية (٣٨) .

٢ـ مع اسم الإشارة ثمَّ ، كما سيأتى .

٣ـ مع اسم الإشارة المقرون باللام والكاف نحو : هذالك ، كراهة كثرة الزوائد ، ولأن اللام قد أكدت معنى الإشارة .

ثانياً : لام البعد : لام البعد لا تلحق وحدها باسم الإشارة وإنما تكون مصاحبة لكاف الخطاب الحرفية للدلالة على تأكيد بعد المشار إليه [١] ، أو : بعد المشار إليه [٢] ، وقيل : لبعد المخاطب [٣] .

يقول ابن يعيش : (ذلك) الاسم فيه (ذا) والكاف للخطاب وزيدت اللام لتدل على بعد المشار إليه وكسرت لالتقاء الساكنين ولم تفتح لئلا تلتبس بلام الملك لو قلت : (ذالك) فـ (ذا) اسم إشارة إلى القريب بتجردها من قرينة تدل على البعد فكانت على بابها من إفادة قرب المشار إليه لأن حقيقة الإشارة: الإيماء إلى حاضر فإذا أرادوا الإشارة إلى متنح متباعد زادوا كاف الخطاب وجعلوه علامة لتباعد المشار إليه فقالوا : (ذاك) فإن زاد بعد المشار إليه أتوا باللام مع الكاف فقالوا (ذلك) واستفيد باجتماعهما زيادة فى التباعد لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى [٤] .

وتمتنع لام البعد فى المواضع الآتية :

١ـ مع اسم الإشارة المبدوء بها التنبيه وليس فيه كاف الخطاب نحو : هذا ، فلا يقال : (هذال) لعدم السماع ، أو لعدم ورود الاستعمال ، ويقول ابن مالك : واللام إن قدمت ها ممتنعة " [٥] .

٢ـ مع (أولاء) الممدودة لعدم السماع وللثقل فلا يقال : (أولاءل) .

٣ـ مع اسم الإشارة المثنى مذكراً أو مؤنثاً لعدم الاستعمال ، فلا

---

(١) مشكل إعراب القرآن لمكى القيسى ٧٢/١ .
(٢) شرح المفصل ١٢٦/٣ .
(٣) حاشية الصبان ١٤٢/١ .
(٤) شرح المفصل ١٣٥/٣ بتصرف .
(٥) انظر شرح ابن عقيل ١٣٢/١ ، وحاشية الصبان ١٤٤/١ .

يقال : (ذالان) ولا (تالان) حتى لا يؤدى ذلك إلى الإبهام بأن (ذالان) تثنية (ذال) من حروف الهجاء ، وامتنع (تالان) بالقياس على (ذالان) .

٤ـ مع أسماء الإشارة السبعة التى للمفردة المؤنثة وهى : ذِهْ ـ ذِهِ ـ ذه ـ ذات ـ تِهْ ـ تِهِ ـ تِهِ ، وذلك لعدم الاستعمال [١] .

ثالثاً : كاف الخطاب : كاف الخطاب على ضربين : أحدهما : ما يفيد الخطاب والاسمية ، والآخر : ما يفيد الخطاب مجرداً من معنى الاسمية، فالأول نحو : الكاف فى أخيك وأبيك وغلامك ، ونحوها مما له محل من الإعراب، ألا ترى أن موضع هذه (الكاف) خفض بإضافة الاسم الأول إليه . والثانى : نحو الكاف اللاحقة بأسماء الإشارة نحو : ذاك ، وذانك ، وأولئك . فالكاف فى جميع ذلك للخطاب مجرداً من معنى الاسمية .

والذى يدل على تجردها من معنى الاسمية أنها لو كانت باقية على اسميتها لكان لها موضع من الإعراب ، وذلك ممتنع هنا ، فلا يجوز أن تكون فى موضع رفع ؛ لأن الكاف ليست من ضمائر الرفع ولا يجوز أن تكون منصوبة لأنه لا ناصب لها ، ولا يجوز أن تكون مجرورة ؛ لأن الجر فى كلامهم إنما هو من وجهين ؛ إما بحرف جر أو بالإضافة ، ولا حرف جر هنا ، ولا يجوز الجر بالإضافة (لإيا) إليه فى (إياك) ؛ لأنه قد قامت الدلالة على أنه اسم مضمر، والمضمر لا يضاف ؛ لأن الإضافة للتخصيص، والمضمرات أشد المعارف تخصيصاً فلم تحتج إلى الإضافة .

ومما يدل على أن الكاف حرف وليس (اسما : إثبات نون التثنية فى (ذانك) و(تانك) ، ولو كانت اسماً لوجب حذف النون قبلها وجرها بالإضافة، واللازم باطل لأن اسم الإشارة لا يقبل التنكير بحال لأنه لمصاحبته الإشارة الحسيّة لا يقبل شياعا أصلاً [٢] .

---

(١) حاشية الصبان ١٤٢/١ .

(٢) انظر مشكل إعراب القرآن ١ / ٧٣، ٧٤، وشرح المفصل ٩٩/٣ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤، وحاشية الصبان ١٤٢/١ .

وإذا ثبت أنه ليس باسم كان حرفاً بمعنى الخطاب مجرداً من مذهب الاسمية ، ولكن ما فائدة هذه الكاف الحرفية وما علة تخصيص المتوسط والغائب البعيد دون القريب ؟

أما عن فائدتها فإن المتكلم أراد أن ينبه بها المخاطب على تراخي أو بعد ما يومئ إليه [١] ، وكون اسم الإشارة قبلها مخاطباً به واحداً أو مثنى أو مجموعاً مذكراً أو مؤنثاً .

وما علة تخصيص المتوسط والغائب البعيد دون القريب ؟ فهي إن وضع أسماء الإشارة للحضور ، والقرب وأنهما للمشار إليه حسّاً ، ولا يشار بالإشارة الحسيّة فى الأغلب إلا إلى الحاضر القريب الذى يصلح أن يقع مخاطباً ، فلما اتصلت كاف الخطاب به وكان متمحضاً بالوضع للحضور بحيث صلح لكونه مخاطباً أخرجته من هذه الصلاحية ، فلا تقول : يا هذاك؛ لأن الكاف توجب كون ما وليته غائباً فى التعبير عنه نحو : غلامك قال كذا، وإن لم يمتنع حضوره ، إذ ربما قلت هذا مع حضور غلام المخاطب فلما أوردت الكاف فى اسم الإشارة معنى الغيبة وقد كان كالموضوع للحضور من حيث كونه موضوعاً للمشار إليه القريب صار مع الكاف بين الحضور والغيبة ، وهذا هو حال المتوسط ، فإذا أردت التنصيص على البعد جئت بعلامته ، وهى : اللام " فقلت : ذلك [٢] وتمتنع كاف الخطاب الحرفية فى المواضع الآتية :

١ــ مع اسم الإشارة المبدوء بحرف التنبيه (ها) وبينهما فاصل[٣] كالضمير ، نحو : هأنذا مسلم، فلا يقال فى الأصح : ها انذاك. ولعل السر فى هذا راجع إلى عدم الاستعمال أو إلى أن الفصل بالضمير يقتضى تحقق المشار إليه وتوكيده ، وهذا يناسب معنى القرب ، والكاف تستعمل فى

---

(١) انظر المقتضب للمبرد ٢٧٥/٣ .
(٢) شرح الكافية ٣٢/٢ .
(٣) حاشية الصبان ١٤٢/١ .

الأصل لغير القريب ، أو إلى أن (أنا) للمتكلم والكاف للخطاب واجتماعهمـــا يؤدى إلى التناقض ؛ إذ كيف يكون متكلماً ومخاطباً فى الوقت نفسه والمعنى واحد .

٢ـ مع أسماء الإشارة السبعة التى للمفردة المؤنثـــة وذلـــك لعـــدم الاستعمال .

٣ـ مع اسم الإشارة (ثَمَّ) .

٤ـ مع اسم الإشارة المنادى نحو : يا هذا ، فلا يقال : يا هـــذاك ، ولعل السر فى هذا راجـــع إلـــى عـــدم الاســـتعمال ، أو حتـــى لا تجتمـــع المتناقضات؛ لأن (يا) لنداء البعيد فى الأصل ، و(هـــا) للقريـــب والكـــاف للمتوسط . إذ كيف يكون المشار إليه بعيداً وقريباً ومتوسطاً فى آن واحد .

الإشارة إلى الظرف :

هناك كلمات خاصة استخدمها العرب للإشارة إلى الظـــروف وهـــى كالآتى :

١ـ (ثَمَّ) وهى اسم إشارة إلى المكان البعيد [١] ، وهى ظرف مكـــان لا يتصرف فلا تقع فاعلاً ولا مفعولاً ولا مبتدأ ولا غير هذا .

وقد يشار بها للزمان اتساعاً بدلالة الحال فتنصـــب علـــى الظرفيـــة الزمانية ، كما فى نحو قولنا : وصلت منذ دقيقة ومن ثَمَّ أقيمت الصلاة .

ولا تلحقها (ها) التنبيه ولا كاف الخطاب ، ولعل السر فى هذا عـــدم الاستعمال ، أو حتى لا يحدث تناقض فى المعنى وبيانه ، أن ثَمَّ فى الأصـــل للبعيد و(ها) للتنبيه على القريب فكيف يكون الشئ بعيداً وقريباً فى آن واحد. وكاف الخطاب للمشار إليه المتوسط ، وثَمّ فى الأصل للبعيد فكيـــف يكـــون الشئ متوسطاً وبعيداً فى آن واحد .

---

(١) انظر حروف المعانى للزجاجى / ٩ ، ومغنى اللبيب ١١٩/١ ، والكتـــاب ٢٦٨/٣ ، وشرح المفصل ١٣٨/٣ ، وارتشاف الضرب ٥١٢/١ .

٢ــ (هُنَا) . مجردة من (ها) التنبيه أو مسبوقة بها فتقول (ههنا) عند الإشارة إلى المكان القريب نحو قوله تعالى : " إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ " [(١)] ، وقوله تعالى : " فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ " [(٢)] ، وبسبب دلالتها على المكان مع الإشارة دخلت في عداد ظروف المكان [(٣)] فهي اسم إشارة وظرف مكان معاً .

وهي ظرف مكان غير متصرف ، ويصح أن يزاد على آخرها الكاف المفتوحة للخطاب وحدها، و مع (ها) التنبيه فتصير مع الظرفية اسم إشارة للمكان المتوسط فيقال : هناك ، هاهناك .

ويصح أن يتصل بآخرها كاف الخطاب المفتوحة وقبلها لام البعد فتصير مع الظرفية اسم إشارة للمكان البعيد فيقال : هنالك ، وفي هذه الصورة تمتنع (ها) التنبيه ؛ لأنها لا تجتمع مع لام البعد ، فلا يقال ههنالك .

وقد يدخل على صيغتها الأصلية بَعْضُ التغيير فتصير اسم إشارة للمكان البعيد من غير وجود لام البعد ومن ذلك. هَنَّا ، وهِنَّا ، وهَنَّتْ ، وهِنَّتْ ، وهُنَّا ، فهذه لغات فيها وكلها تفيد مع الظرفية الإشارة للمكان البعيد. ومن ذلك قول ذي الرمة [(٤)] :

هَنَّا وهِنَّا ومِنْ هُنَّا لهُنَّ بِهَا ذَاتَ الشَّمَائِلِ والأَيْمَان هَيْنُومُ

وقيل [(٥)] : إنها كلها بمعنى واحد وهو الإشارة إلى المكان ولكنها تختلف في القرب والبعد فبالضم يشار إلى القريب وبالباقي يشار إلى البعيد .

ومما يدل على أن (هنا) ، أو (هناك) ، أو (هنالك) أصلها للمكان أنك

---

(١) سورة المائدة الآية (٢٤) .
(٢) سورة الحاقة الآية (٣٥) .
(٣) راجع المفردات في غريب القرآن / ٥٤٦ ، وارتشاف الضرب ٥١١/١.
(٤) انظر الديوان ص / ٥٧٦ ، والخصائص ٣٨/٣ ، وشرح المفصل ١٣٧/٣، وارتشاف الضرب ٥١٢/١ .
(٥) حاشية الصبان ١٤٥/١ .

تقول : اجلس هنالك تريد المكان ، ولا يجوز : سر هنالك تريد الزمان [١] .

وقد يشار بها للزمان اتساعاً بدلالة الحال والخطاب فتنصب على الظرفية الزمانية ويحتمل أن يكون منه قوله تعالى : " هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً " [٢] .

وفى ذلك يقول أبو حيان [٣] : " وفى النهاية (هنا) أصلها أن تكون للمكان ثم استعيرت للزمان وحقها أن تضاف إلى المفرد ، قال الأعشى [٤] :

لاَتَ هَنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْمَنْ (جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ)

وربما احتملت المكانية والزمانية أيضاً كما فى قوله تعالى : "هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ " [٥] .

والكاف مع هناك ، وهنالك تلزم حالة واحدة حيث تكون مفردة مفتوحة مهما تغير المخاطب، ولذا يسمونها كاف الخطاب غير المتصرفة[٦].

ومما سبق يتبين :

١ـ أن (هُنَا وثَمَّ) لا يشار بهما إلا إلى المكان فى الأصل وقد تخرج عنه إلى الزمانية اتساعاً ، على حين أن الألفاظ الأخرى يشار بها إلى المكان وإلى غير المكان .

٢ـ أنهما من أسماء الإشارة التى من القسم الثانى وهو الذى يلاحظ فيه المشار إليه من ناحية قربه أو بعده أو توسطه بين القرب والبعد.

٣ـ أنهما تفيدان الإشارة مع الظرفية التى لا تتصرف .

---

(١) انظر مشكل إعراب القرآن ١٥٧/١ .
(٢) سورة الأحزاب الآية (١١) .
(٣) ارتشاف الضرب ٥١٢/١ .
(٤) انظر الديوان ص / ١٦٣ دار صادر ، والخصائص ٤٧٦/٢ ، والمقرب ١٠٥/١ ، وهمع الهوامع ١٢٦/١ ، وشرح التصريح ٢٠٠/١ .
(٥) سورة الكهف الآية (٤٤) .
(٦) انظر حاشية الصبان ١٤٤/١ ، والنحو الوافى ٣٢٤/١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨ .

استعمالات اسم الإشارة فى الأساليب العربية :

لاسم الإشارة استعمالات كثيرة فى الأساليب العربية منها ما يلى:

١ــ استعمال اسم الإشارة بمنزلة الضمير :

يقول سيبويه : " وقد يكون هذا وصواحبه بمنزلة هو يعــــرَّف بــــه، تقول : هذا عبد الله فاعرفه ، إلا أن هذا ليس علامة للحصر ، ولكنك أردت أن تعرف شيئاً بحضرتك " [١] .

٢ــ استعمال اسم الإشارة رابطاً :

يستعمل اسم الإشارة رابطاً من الروابط الخمسة التى تربط الجملــــة الواقعة خبراً بالمبتدأ ، حتى لا يصير الكلام مفككاً لا معنى لـــــه، لانقطــاع الصلة بين أجزائه ، أو حتى لا يفسد التركيب ويختل المعنى بفقد الرابـــط ، ومن ذلك قوله تعالى : " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ " [٢] .

وفى ذلك يقول الزمخشرى [٣] : " الخبر جملة (ذلـــك خـــير) ؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود المذكر، وأما المفـــرد الذى هو خير ، وذلك صفة للمبتدأ " .

وقال الزجاج : " ومن رفع اللباس فرفعه على ضربين : أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون ذلك من صفته ، ويكون (خير) خبراً لابتداء المعنـــى ، " ولباس التقوى " المشار إليه خبر .

ويجوز أن يكون (ولباس التقوى) مرفوعاً بإضمار (هو) المعنى هو لباس التقوى ، ثم قال : (ذلك خير) ويكون على أن لباس التقـــوى مرفـــوع بالابتداء ، ويكون " ذلك " خبر يرتفع به (خير) على أنه خبر ذلك، ويكـــون ذلك بمنزلة (هو) ، كأنه والله أعلم : ولباس التقوى هو خـــير ، لأن أســـماء

---

(١) الكتاب ٨٠/٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية (٢٦) .
(٣) انظر الكشاف للزمخشرى ٥٨/١ ، وانظر البحر المحيط ٢٨٣/٤ .

الإشارة تقرب فيما يعود من الذكر من المضمر ، والوجهان الأوّلان أبين في العربية " [١] .

٣ـ اسم الإشارة يُنعتُ ويُنعتُ بِهِ :

قسم النحاة أسماء الإشارة بالنسبة للنعت إلى أقسام أربعة منها[٢] : ما ينعت وينعت به كاسم الإشارة نحو قوله تعالى : " بَلْ فعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا " [٣]، فاسم الإشارة نعت لما قبله (كبيرهم) [٤] . وقوله تعالى : " قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ " [٥]، واسم الإشارة هنا منعوت باسم الموصول الذى بعده. ولكن هل ينعت باسم الإشارة كل اسم ، وهل ينعت هو بكل اسم ؟

وللإجابة عن ذلك نقول : إن اسم الإشارة لا ينعت به كل اسم وإنما ينعت به ما يلى :

١ـ العلم الخاص من الأسماء نحو : مررت بزيد هذا وبعمرو ذاك ، وإنما صار معرفة لأنه اسم وقع عليه ما يعرف به بعينه دون سائرّ أمته [٦].

٢ـ المضاف إلى المعرفة نحو : مررت بصاحبك هذا لأن تعريفه مكتسب من المضاف إليه فهو كالعارية [٧] .

وكذلك لا ينعت بكل اسم ، وإنما ينعت بما يأتى :

١ـ الأسماء التى فيها الألف واللام نحو : مررت بهذا الرجل.

٢ـ الاسم الموصول كما فى قوله تعالى : " قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّـذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ " [٨] .

---

(١) انظر معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٨/٢ ، ٣٢٩ .
(٢) انظر شرح المفصل ٥٦/٣ـ٥٧ ، وحاشية الصبان ٧٢/٣ ، ٧٣ .
(٣) سورة الأنبياء الآية (٦٣) .
(٤) انظر البحر المحيط ٣٢٥/٦ .
(٥) سورة الإسراء الآية (٦٢) .
(٦) انظر الكتاب ٥/٢ .
(٧) انظر الكتاب ٧/٢ ، وحاشية الصبان ٧٢/٣ .
(٨) سورة الإسراء الآية (٦٢)، وانظر معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم ص / ٣٧٣، =

هذا فى أسماء الإشارة غير المكانية ، أما الأسماء المكانية (هُنَا وثَمَّ) فظرفا مكان لا يقعان بنفسيهما نعتاً ؛ لأن مهمتهما تختلف عن مهمة النعت ، ولكنهما يتعلقان بمحذوف يكون هو النعت مثل : أسرع العطاش إلى ماء هنا، أى : موجود هنا ، أو نحو هذا التقدير [١] .

٤ـ يجوز رفع ما بعد خبر اسم الإشارة على القطع أو على أنه مكمل للخبر فى نحو : هذا عبد الله منطلق .

يقول سيبويه [٢] : " وهذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب فى المعرفة ، وذلك قولك : هذا عبد الله منطلق ، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب. وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أن رفعه يكون على وجهين ، فوجه أنك حين قلت : هذا عبدُ الله أضمرت هذا و هو، كأنك قلت : هذا منطلق أو هو منطلق . والوجه الآخر أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا ، كقولك : هذا حلو حامض .. وقال الله عز وجل : " كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى " [٣] . وزعموا أنها فى قراءة أبى عبد الله : " هَذَا بَعْلِى شَيْخٌ " [٤] .

قال سمعنا ممن يروى هذا الشعر من العرب يرفعه .

مَنْ يَكُ ذَابَتٌّ فَهَذَا بَتِّى مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَتِّى [٥]

== وذكر فيه أن (الذى) عطف بيان ، وانظر الكتاب ٦/٢ .

(١) انظر النحو الوافى ٤٥٨/٣ ، ٤٦٥ ، ٤٨٣ .

(٢) انظر الكتاب ٨٣/٢ـ٨٤ .

(٣) سورة المعارج الآية (١٥ ، ١٦) .

(٤) سورة هود الآية (٧٢) . وهى قراءة ابن مسعود . انظر مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص / ٦٠ .

(٥) قائله رؤبة انظر ديوانه / ١٨٩، والكتاب ٨٤/٢ ، ومعانى القرآن للأخفش ٣٩/١ ، وشرح المفصل ٩٩/١ ، والهمع ١٠٨/١ .

٥ــ جواز الإخبار عن المذكر منه بالمؤنث :

يقول سيبويه [١] : " هذا باب المؤنث الذى يقع على المؤنث والمذكر وأصله التأنيث .. وقال الخليل : قولك : هذا شاة بمنزلة قوله تعالى : " هَــذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى " [٢] .

ــ مواقع أسماء الإشارة من الإعراب فى القرآن الكريم :

١ــ وقوعه مبتدأ وهو أكثر مواقع اسم الإشارة فى القرآن الكريم حيث بلــــغ عدد المواقع التى وقع فيها اسم الإشارة مبتدأ بمختلف أشــــكاله (هــذا ، أهذا، فهذا ، وهذا ، هذان ، هذه ، وهذه ، ذلك ، أذلك، فذلك ، وذلـــك ، ذلكما، ذلكم ، وذلكم ، فذلكم ، فذلكن ، أولئك ، فأولئك وأولئك ، تلـــك ، فتلك، وتلك ، تلكم ، هؤلاء ، أهؤلاء) (٥٦٢) خمسمائة واثنين وســــتين موضعاً [٣] .

٢ــ وقوعه مجروراً بالحرف وبالإضافة ، حيث بلغ عدد المواقع التى جـــاء فيها اسم الإشارة بمختلف أشكاله مجروراً (٣٢٢)[٤] ثلاثمائـــــة واثنيـــن وعشرين موضعاً منها (٢٥٨) مائتان وثمان وخمسون موضعاً وقع فيها مجروراً بالحرف ، و(٦٤) وأربعة وستون موضعاً جاء فيها مجــــروراً بالإضافة .

٣ــ وقوعه اسم إن وأخواتها وذلك فى (٤٥) [٥] خمسة وأربعين موضعاً .

٤ــ وقوعه مفعولاً به وذلك فى (٣٨) [٦] ثمانية وثلاثين موضعاً .

---

(١) انظر الكتاب ٥٦١/٣ــ٥٦٢ .
(٢) سورة الكهف الآية (٩٨) .
(٣) راجع ذلك فى دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبــد الخـــالق عضيمــة ١٦٢/٨ــ١٦٨ .
(٤) راجع ذلك فى دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٧٣/٨ــ١٧٧ .
(٥) السابق ٤٥/٨ .
(٦) السابق ١٧١/٨ــ١٧٢ .

٥ـ وقوعه ظرفاً وذلك فى (١٦) [١] ستة عشر موضعاً .

٦ـ وقوعه نعتاً وذلك فى (١٥) [٢] خمسة عشر موضعاً .

٧ـ وقوعه خبراً للمبتدأ وذلك فى (١٤) [٣] أربعة عشر موضعاً .

٨ـ وقوعه اسم كان وأخواتها وذلك فى (١٤) [٤] أربعة عشر موضعاً .

٩ـ وقوعه فاعلاً وذلك فى (٨) [٥] ثمانية مواضع .

١٠ـ وقوعه نائب فاعل وذلك فى (٧) [٦] سبعة مواضع .

١١ـ وقوعه اسماً (لما النافية) وذلك فى (٥) [٧] خمسة مواضع .

قراءات أسماء الإشارة :

أولاً : القراءات السبعية :

١ـ قوله تعالى : " هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ " [٨] .

قرأ ابن كثير وحده (هذانّ) مشددة النون ، وقرأ الباقون (هـذان) خفيفة [٩] .

٢ـ قوله تعالى : " إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ " [١٠] .

---

(١) السابق ٨/١٧٢ـ١٧٣ .
(٢) السابق ٨/١٧٨ .
(٣) السابق ٨/١٦٨ .
(٤) السابق ٨/١٦٩ .
(٥) السابق ٨/١٧١ .
(٦) السابق ٨/١٧١ .
(٧) السابق ٨/١٦٩ .
(٨) سورة الحج الآية (١٩) .
(٩) انظر كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ص / ٤٣٥ ، ودراسات فـى أسـلوب القرآن الكريم ٨/١٧٩ .
(١٠) سورة القصص الآية (٢٧) .

شدّد نون (هاتين) مكسورة ابن كثير [١] .

٣ـ قوله تعالى : " فَذَانِكَ بُرْهَانَان مِنْ رَبِّكَ " [٢] .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فذانّك) مشددة النون ، وروى علـى ابـن نصر عن أبى عمرو أنه : يخفف ويثقل والباقون يقرأون بالتخفيف [٣] .

٤ـ قوله تعالى : " هَا أَنْتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ " [٤] .

قرئ بتخفيف الهمزة وتسهيلها وتوجيهها فى (هؤلاء) [٥] .

ثانياً : القراءات الشاذة فى أسماء الإشارة :

١ـ قوله تعالى : " وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ " [٦] .

قرئ " ولا تقربا هذى " بالياء ، ابن كثير فى بعض رواياتـه هـذه الشجرة بكسر الشين أبو السمال ، هذه الشِّيَرَة بالياء حكاه أبو زيد[٧] .

٢ـ قوله تعالى : " إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ " [٨] .

قرئ (هذى) بالياء بدل الهاء [٩] .

٣ـ قوله تعالى : " هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاس وَهُدىً وَرَحْمَةٌ " [١٠] .

---

(١) انظر القراءة فى اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء / ٣٤٣.
(٢) سورة القصص الآية (٣٢) .
(٣) انظر السبعة فى القراءات ص/ ٤٩٣ ، والاتحاف / ٣٤٢ ، والنشر فـى القـراءات العشر لابن الجزرى ٣٤١/٢ .
(٤) سورة آل عمران الآية (٦٦) .
(٥) انظر شرح الشاطبية لابن القاصح ص / ١٧٤ـ١٧٥ ، وغيث النفع فـى القـراءات السبع بهامش شرح الشاطبية ص / ٦٤ .
(٦) سورة البقرة الآية (٣٥) .
(٧) انظر مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه / ٤ ، والبحر المحيط ١٥٨/١.
(٨) سورة النمل الآية (٩١) .
(٩) انظر اتحاف فضلاء البشر / ٣٤٠ .
(١٠) سورة الجاثية الآية (٢٠) .

قرئ : هذى ، أى هذه الآيات [١] .

٤ـ قوله تعالى : " قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى " [٢] .

قرأ ابن أبى عبلة : هذه رحمة ، بتأنيث اسم الإشارة [٣] .

٥ـ قوله تعالى : " ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ " [٤] .

قرأ ابن أبى عبلة (ثم) بفتح الثاء ، أى هنالك [٥] .

٦ـ قوله تعالى : " ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا " [٦] .

قرئ (ثم) بفتح الثاء عن ابن عباس والجحدرى وابن أبى ليلى و(ثمة) ابن أبى ليلى [٧] .

٧ـ قوله تعالى : " وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً " [٨] .

قرأ حميد الأعرج (ثم) بضم الثاء ، جعله حرف عطف [٩] .

٨ـ قوله تعالى : " مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ " [١٠] .

قرأ أبو جعفر وأبو حبوة وأبو البرهشيم وابن مقسم (ثم) بضم الثاء ، حرف عطف [١١] .

---

(١) انظر البحر المحيط ٤٦/٨ .
(٢) سورة الكهف الآية (٩٨) .
(٣) انظر البحر المحيط ١٦٥/٦ .
(٤) سورة يونس الآية (٤٦) .
(٥) انظر البحر المحيط ١٦٤/٥ .
(٦) سورة مريم الآية (٧٢) .
(٧) انظر مختصر فى شواذ القرآن ص / ٨٦ ، والبحر المحيط ٢١٠/٦ .
(٨) سورة الإنسان الآية (٢٠) .
(٩) انظر البحر المحيط ٣٩٩/٨ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٨٠/٨ .
(١٠) سورة التكوير الآية (٢١) .
(١١) مختصر فى شواذ القرآن / ١٦٩ ، والبحر المحيط ٤٣٤/٨ .

٩ــ قوله تعالى : " هَذَانِ خَصْمَانِ " [١] .

قرئ (هذأنّ) بالهمز وتشديد النون عن بعضهم ، وكذلك اللذان[٢] .

١٠ــ قوله تعالى : " فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ " [٣] .

قرئ فذانيك عن ابن كثير ، وروى عنه فدانيك [٤] .

وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وشبل : (فذانيـــك) بياء بعد النون المكسورة ، وهى لغة هذيل ، وقيل : بل لغة تميـــم ، وقـــرئ (فذانيك) بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون التثنية .

وقرأ ابن مسعود بتشديد النون المكسورة بعدها ياء ، قيل وهى لغـــة هذيل ، وقال المهدوى ، بل لغتهم تخفيفها [٥] .

(١) سورة الحج الآية (١٩) .
(٢) مختصر فى شواذ القرآن ص / ٢٥ .
(٣) سورة القصص الآية (٣٢) .
(٤) مختصر فى شواذ القرآن ص / ١١٣ .
(٥) انظر البحر المحيط ١١٨/٧ ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٨٠/٨ــ١٨١.

المبحث الثانى
اسم الإشارة عند البلاغيين

إذا كان النحاة قد تعاملوا مع اسم الإشارة على المستوى اللفظى مــن بيان معناه وعمله ومواقعه الإعرابية ووظيفته داخل الجملة وبخاصة كونـــه رابطاً فإن البلاغيين قد تعاملوا معه من وجهة أخرى تهتم بالجانب الدلالـــى وبيان الأسرار البلاغية والدلالية التى يشغلها اسم الإشـــارة ، ولقـــد أفصـــح البلاغيـــون عن تلك الأسرار والدلالات فى تناولهم لاسم الإشارة عند حديثهم عن :

١ـ تعريف المسند إليه الذى يتنوع تعريفه إلى جميع أنواع المعارف.

٢ـ إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر .

ومن المعلوم أن لكل نوع من أنواع المعارف مقاماً يقتضيه وداعيـــاً يستدعيه ، والذى يهمنا هنا هو تعريف المسند إلّيه باسم الإشارة وما يكمـــن وراء التعريف به من دقائق وأسرار . وسوف نعرض هنا لنماذج من تناول البلاغيين لاسم الإشارة نوضح فيها مقامه وأغراضه .

أولاً : من الأسرار البلاغية لتعريف المسند إليه باسم الإشارة :

يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة متى صلح المقام له واتصل به غرض.

ومن المقامات الصالحة لذلك أن يصح إحضاره فى ذهـــن الســـامع بواسطة الإشارة إليه حساً ؛ " لأن الأصل فى أسماء الإشارة أن يشار بها إلى محسوس مشاهد قريب أو بعيد ، فإن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه نحـــو قوله تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ " [١] . أو إلى محسوس غير مشـــاهد نحو قوله تعالى : " تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَـــنْ كَـــانَ تَقِيّـــاً "[٢].

---

(١) سورة فاطر الآية (١٣) .
(٢) سورة مريم الآية (٦٣) .

فلتصيره كالمشاهد وتنزيل الإشارة الفعلية منزلة الحسيّة " (١) .

وأما الغرض الموجب له (٢) أو المرجح فهو :

١ـ تمييز المسند إليه أكمل تمييز بالقلب والعين فإنه لا تمييز أكمل منه ولا يحصل ذلك إلا باسم الإشارة ، ولعل السر في ذلك هو : " أنك إذا أشرت إلى شئ فكأن هذا الشئ موجود أمامك ؛ ولهذا فإنك تشير إليه إذ لا يشار إلا إلى موجود وبإشارتك إليه دون غيره تكون قد ميزته عن غيره مما لم تشر إليه مما هو موجود معه " (٣) .

وعلى الرغم من هذا فإن تلك الأكملية لا تتعارض مع ما قرره النحاة من أن الضمير هو أعرف المعارف ، وأن العلم أعرف من الإشارة، وذلك لأنه لا مانع من أن تكون لكل معرفة خصوصية دلالية ليست لغيرها مما هو أعرف منها (٤) .

وقد ذكر ابن يعقوب المغربي أن تمييز المشار إليه أكمل تمييز ليس هو الغرض البلاغي ، وإنما هو وسيلة لغرض من الأغراض كالمدح في مقامه ، فإنه يقتضي انكشاف الأوصاف العظيمة وتمييزها وهذا أبلغ في المدح من أن تساق نعوته في شئ من الخفاء ثم وضح نظرته هذه بالتطبيق

---

(١) شرح الكافية ٣٢/٢ ، ٣٣ ، والمطول ص / ٧٧ .

(٢) انظر أغراض اسم الإشارة فيما يلي : مفتاح العلوم للسكاكي ص / ٨٨، والمصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم ص / ١٧ـ١٩، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة لمحمد بن علي الجرجاني / ٣٨ ـ ٣٩ ، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي / ٥٧ـ٧٢، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي اليمني ٢٥٨/٣ـ ٢٦٤، وشروح التلخيص ٣١٣/١ ـ ٣٢٠ ، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ص / ١٧ ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي ٩٠/١ـ٩٣ .

(٣) انظر النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق د / حسن إسماعيل عبد الرازق ص/ ٢٣٨.

(٤) انظر مواهب الفتاح لابن يعقوب ضمن شروح التلخيص ٣١٣/١ـ٣١٤ .

على بيت ابن الرومى فى مدح أبى الصقر الشيبانى :

هَذَا أَبُو الصَّقْرِ فَرْداً فى مَحَاسِنِهِ   مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ والسَّلَمِ

فقال : " قوله : (هذا) إشارة إلى تمييز أبى الصقر أكمل تمييز ليكون مدحه فى الأذهان كالنار على علم وظهور نعته عند الناس كظهور البدر بلا غيم ولا خسوف ، وإنما أفاد اسم الإشارة أكمل التمييز لتنزله فى المحسوس الذى أصله أن يستعمل فيه منزلة وضع اليـــد"[1] .

ومن ذلك قول الحطيئة يمدح قومه :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوا أَحْسَنُوا البِنَا   وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

فقد أشار الحطيئة هنا إلى قومه باسم الإشارة البعيد للدلالة على مـــا لقومه من سمو القدر وبعد المكانة وعلو المجد ، ولكن يؤخذ عليه " استخدامه (إن) دون (إذا) فقلل بهذا بناء المجد ، ولو استخدم (إذا) لكان أبلـــغ وأوفـــى للمدح "[2] .

وإفادة اسم الإشارة لتمييز المشار إليه أكمل تمييز تجدها كثيراً فـــى القرآن الكريم وترى لها وقعاً حسناً فى النفس ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى : " وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَـــأُولَئِكَ هُـــمُ الْمُفْلِحُـــونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَـــهُمْ بِمَـــا كَـــانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ "[3] .

وقوله تعالى : " فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ"[4]. حيث تجـــد اســـم الإشارة (أولئك) يميز الذين ثقلت موازينهم ليتقـــرر الحكـــم عليهـــم بـــأنهم

---

(١) السابق ٣١٤/١ .

(٢) انظر علم المعانى للدكتور / بسيونى فيود ١٢٤/١ .

(٣) سورة الأعراف الآية (٨ ، ٩) .

(٤) سورة المؤمنون الآية (١٠٢ ، ١٠٣) .

مفلحون، ويميز الذين خفت موازينهم ليتقرر الحكم عليهم بأنهم خسروا أنفسهم، لما فى اسم الإشارة من التمييز والوضوح . وقد يكون الغرض من التعبير باسم الإشارة هو : الدلالة على تعظيم أو تحقير المشار إليه بالبعد وذلك بتنزيل البعد المعنوى فيهما منزلة البعد الحسّى ، فبُعدُ من ثقلت موازينهم بعد تعظيم وسمو منزلة ، وبعد من خفت موازينهم بعد طرد وتحقير " [١] .

ومنه قوله تعالى : " اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ " [٢]. تجد اسم الإشارة (أولئك) لزيادة تمييز المشار إليهم لئلا يتردد فى أنهم حزب الشيطان ، لأن استحواذه عليهم يقتضى أنه صيرهم من أتباعه"[٣] .

ومما سبق يتضح أن كون التمييز معنى وضعيا لاسم الإشارة لا ينافى أن يكون غرضا بلاغياً متى اقتضاه الحال .

٢ــ التعريض بغباوة السامع وأنه لا يميز إلا بالإشارة الحسيّة، ومن ذلك قول الفرزدق يهجو جريراً ويفخر بقومه :

أُولَئِكَ آبَائِى فَجِئْنِى بِمِثْلِهِم ۞ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

فقد أشار الفرزدق إلى آبائه الذين افتخر بهم ، وكان يستطيع أن يذكرهم ثانية بأسمائهم أو يقول (هم آبائى) ولكن ذلك كان يفوت عليه غرضاً من أغراضه وهو التعريض بغباوة مخاطبه ، وأنه لضعف إحساسه وعقله لا يدرك إلا المحس والمشاهد ، كما أن التعجيز فى قوله : " فجئنى بمثلهم " يفيد أن جرير ليس فى قومه من يناظر أحساب الفرزدق وهذا على غرار قوله تعالى : " فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ " [٤] .

---

(١) انظر من هدى القرآن الكريم د / بسيونى فيود ص/١٤٣ بتصرف .
(٢) سورة المجادلة الآية (١٩) .
(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٥/٢٨ .
(٤) سورة البقرة الآية (٢٣) .

٣ـ بيان حال المسند إليه فى القرب أو البعد أو التوسط . وقد أفاض البلاغيون [١] فى الحديث عن دلالة القرب والبعد والتوسط هل هى وضعية الإشارة ؟ ولا داعى للاستفاضة فى الأمور البلاغية فى هذا المقام .

٤ـ القصد إلى تعظيم المشار إليه أو إلى تحقيره . وهذا مقصد تحققه أسماء الإشارة أفضل تحقق وتقوم به خير قيام .

وتعظيم المشار إليه أو تحقيره من الأساليب الشائعة فى القرآن الكريم فمن إفادة التحقير باسم الإشارة المشار به للقريب تنزيلاً لدنو منزلته وانحطاطها منزلة قرب المسافة وقصرها قوله تعالى فى شأن مشركى مكة : " وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ " [٢] .

وقوله عزّ وجلّ : " وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذَا الَّذِى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً " [٣] ، فمقصودهم باسم الإشارة (هذا) المفهم معنى القرب تحقير المشار إليه ، ومما يدل على إرادة التحقير أن الهمزة فيه للإنكار والتعجب .

ومن ذلك قوله تعالى : " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " [٤] .

فالإشارة هنا بالقريب إخبار عن حقارة الدنيا وزوالها وأنها لا دوام لها [٥] .

ومن إفادة التعظيم باسم الإشارة المشار به للقريب قوله تعالى: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ " [٦] . وقوله عزّ وجلّ : "وَإِنَّ هَذِهِ

---

(١) انظر المطول ص / ٧٧ـ٧٨ ، وشروح التلخيص ٣١٥/١ وما بعدها .
(٢) سورة الأنبياء الآية (٣٦) .
(٣) سورة الفرقان الآية (٤١) .
(٤) سورة العنكبوت الآية (٦٤) .
(٥) انظر تفسير التحرير والتنوير ٣١/٢١.
(٦) سورة الأنبياء الآية (٩٢) .

أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ " [١] .

فقد أشار سبحانه وتعالى باسم الإشارة القريب (هـــذه) ، إلـــى ملـــة الإسلام والتوحيد ، وهو ما يفسره المسند قوله : " أمتكم " بمعنـــى ملتكـــم ، والإشارة إلى الملة والشريعة باسم الإشارة القريب يفيد التعظيم للمشار إليـــه ورفعة مكانته وعلو شأنه .

وفى الإشارة أيضاً بيان لكمال ظهور أمر الملة فى الصحة والســـداد وانتظامها بسبب ذلك فى سلك الأمور المشاهدة المحسوسة[٢].

ومن إفادة التحقير باسم الإشارة المشار به للبعيد تنزيلاً للنفور منـــه وتمنى بعده عن ساحة الحضور منزلة البعيد فى المكان قوله تعالى : " إِنَّمَـــا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " [٣] .

فقد أشار باسم الإشارة للبعيد (ذلكم) ليفيد أن الشيطان بعيد عن الدين، بعيد عن عفو الله ، مطرود من رحمته عزّ وجلّ [٤] . وليفيد أن الشـــيطان وكل شئ مكروه تنفر منه النفس ، وتتمنى بعدة عن ساحة الحضور .

ومنه قوله تعالى : " فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُـــرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَـــنْ سَـــبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى " [٥] .

ومنه قوله عزّ وجلّ : " أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَـــدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ " [٦] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية (٥٢) .
(٢) من هدى القرآن الكريم ص / ٧٨ .
(٣) سورة آل عمران الآية (١٧٥) .
(٤) انظر فى علم المعانى د / حمزة الدمرداش ١٦٨/١ .
(٥) سورة النجم الآية (٢٩ ، ٣٠) .
(٦) سورة الماعون الآيات (١-٣) ، وانظر شرح ذلك فى التحرير والتنوير ٥٦٤/٣٠ ، ٥٦٥ .

ومن إفادة التعظيم باسم الإشارة المشار به للبعيد تنزيلاً لبعد درجته وعلو مكانته الأمثلة الآتية من القرآن الكريم :

قوله تعالى: " ألم ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ "[1].

وقوله تعالى : " تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّـًا "[2] .

وقوله تعالى : " قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِي فِيهِ " [3] .

وقد اجتمع التعظيم بالبعد والتحقير به فى قوله تعالى : "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ"[4].

ومما سبق يتضح :

أن معنى القرب والبُعد الكامن فى اسم الإشارة معنى طيع خاضع لسياق الكلام مادام الذى يصوغ الأسلوب من ذوى البصر بالتراكيب الفصيحة [5] .

٥ــ التنبيه على أن المشار إليه المنعوت بوصف أو أوصاف جدير ــ من أجل ما وصف به ــ باستحقاقه ما ذكر بعد اسم الإشارة من جزاء حسن كان ذلك أو سيئ ، وهذا الاستعمال كثير جداً فى القرآن الكريم خاص باسم الإشارة .

فمن الأول [6] : قوله تعالى : " وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً "[7] . فالمشار إليه

---

(١) سورة البقرة الآية (١-٢) .
(٢) سورة مريم الآية (٦٣) .
(٣) سورة يوسف الآية (٣٢) .
(٤) سورة الأعراف الآية (٨ ، ٩) .
(٥) خصائص التراكيب د / محمد أبو موسى ص / ١٥٥ .
(٦) أى استحقاق إليه للجزاء الحسن بسبب ما وصف به قبل اسم الإشارة .
(٧) سورة النساء الآية (١٢٤) .

(بأولئك) هم المتصفون بالإيمان والعمل الصالح .

ثم جاءت الإشارة (أولئك) لتفيد أن المشار إليه جدير من أجل اتصافه بما تقدم من الصفات بما يذكر عقبها من دخول الجنة وعدم نقص أقل شئ من ثواب أعمالهم وهو " النقير " . فاسم الإشارة هنا فيه معنى البُعد للدلالة على بُعد منزلة المشار إليه في الفضل والشرف.

ومنه قوله تعالى : " قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (١) .

فقد أشار سبحانه وتعالى (بذلك) إلى العظيم الشأن الذى خلق الأرض فى يومين للتنبيه على أن المشار إليه جدير بما ذكر بعد اسم الإشارة من ربوبيته لجميع العالمين دون الأرض خاصة والتنبيه على بلادة وغباوة المشركين لأنهم لم يفطنوا إلى أن الذى خلق الأرض هو رب العالمين ولا إلى أن ربوبيته تعالى تقتضى انتفاء الند والشريك، وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلة المشار إليه.وجاء اسم الإشارة مقترنا بخطاب الواحد فى خطاب الجماعة ؛ لأن اسم الإشارة (ذلك) هو أكثر أسماء الإشارة استعمالاً بالإفراد ، أو لأن الخطاب لغير معين ، وهمزة الاستفهام المفتتح بها الكلام مستعملة فى التوبيخ وفى الافتتاح بالاستفهام وحرفى التوكيد (إن واللام) تشويق لتلقى ما بعد ذلك، وللدلالة على أهميته والتعبير عن الجلالة بالموصول (الذى) دون الاسم العلم ، لما تؤذن به الصلة من تعليل التوبيخ ؛ لأن الذى خلق الأرض هو المستحق للعبادة (٢) .

ومنه قوله تعالى : فى حق السابقين إلى الخيرات والحسنات الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم : " وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ " (٣) .

---

(١) سورة فصلت الآية (٩) .
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٤/٢٤١ــ٢٤٣ .
(٣) سورة الواقعة الآية (١٠ ــ ١١) .

ومن الثانى [١] : قوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً " [٢] .

فقد أشار عزّ وجلّ (بأولئك) إلى الذين حكيت أحوالهم الفظيعة لينبه على أنهم جديرون بالمآل إلى جهنم ، لتركهم ما كان مفروضاً عليهم فى الدنيا . وواضح ما فى اسم الإشارة من معنى البُعد للدلالة على ترامى أمرهم فى الهول والفظاعة .

ومنه قوله عزّ وجلّ فى بيان عاقبة أولياء الشيطان : " أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً " [٣] .

وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ"[٤].

وقوله تعالى : " وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ " [٥] .

وقد اجتمع التنبيه باسم الإشارة على استحقاق المشار إليه للجزاء الحسن والسئ فى قوله عزّ وجلّ فى بيان شروط التوبة : "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً " [٦] .

واجتمعا أيضاً فى قوله تعالى فى الحديث عن القيامة وبيان لما

---

(١) أى استحقاق المشار إليه الجزاء السئ بسبب ما وصف به قبل اسم الإشارة.
(٢) سورة النساء الآية (٩٧) .
(٣) سورة النساء الآية (١٢١) .
(٤) سورة المائدة الآية (١٠) .
(٥) سورة الروم الآية (١٦) .
(٦) سورة النساء الآية (١٧-١٨) .

يقتضى إتيانها : " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِـــرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْـــزٍ أَلِيمٌ " (١) .

فقد أشار عزّ وجلّ (بأولئك) فى الآية الأولى إلى الذين آمنـوا باللـه وبرسوله صلى الله عليه وسلم وعملوا بما أمرهم به الله ورسوله ، وانتهـوا عما نهاهم عنه للتنبيه على استحقاقهم المغفرة ، ولا يخفى مـا فـى البُعـد الموجود باسم الإشارة من الدلالة على التعظيم . وأشار (بأولئك) فى الآيـة الثانية إلى الساعين بالقدح فى آيات الله لينبه سبحانه وتعالى إلى اسـتحقاقهم العذاب الشديد المؤلم بسبب ما وُصفوا به من صفات خبيثة قبل اسم الإشارة، وما فى اسم الإشارة من معنى البُعد للدلالة على بعدهم مـن رحمـة اللـه ؛ لبلوغهم الغاية فى الشر والفساد .

٦ـ تجسيد المعنويات وإبرازها فى صورة محسوسة مشاهدة كقـول ابن الدمينة يخاطب صاحبته :

تَعَالَلْتِ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ   تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكَ(٢)

فقد خيل الشاعر باسم الإشارة (ذلك) أن قتله صار حقيقـة مجسـدة يشار إليها كما يشار إلى المحسوسات البينة .

وهذا الاستعمال الذى يجسد المعنويات بواسطة التعبير باسم الإشارة كثير جداً فى القرآن الكريم من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُـمْ فَـإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " (٣) .

فقد أشار سبحانه وتعالى باسم الإشارة (ذلك) إلى طاعتـه سـبحانه وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطاعة الحكم المسلمين المتمسـكين

---

(١) سورة سبأ الآية (٤-٥) .
(٢) انظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص / ٩٠ .
(٣) سورة النساء الآية (٥٩) .

بشرع الله ورد الشئ المتنازع فيه إلى الله ورسوله . وذلك لتجسيد هذه الأمور وإبرازها فى صورة محسوسة مشاهدة ولتقرير الحكم عليها بالخيرية وحسن العاقبة .

وما فى اسم الإشارة من معنى البُعد لتعظيم المشار إليه وارتفاع مكانته .

ومنه قوله تعالى : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ " [١] . فقد أشار سبحانه وتعالى إلى اللعن المفهوم من (لعن) باسم الإشارة (ذلك) لتجسيد هذا الأمر المعنوى وإبرازه فى صورة محسوسة مشاهدة ، وفى إيثار التعبير باسم الإشارة بدلاً من الضمير تنبيه على كمال ظهور اللعين وامتيازه عن نظائره [٢] .

ومنه قوله عزّ وجلّ : " لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " [٣] . فقد أشاروا إلى البعث وهو أمر معنوى بهذا فأفادوا بذلك أن القول بالبعث مما هو شائع فى أجيالهم شيوعاً ، كانه واقع منظور ، ومع ذلك فهم يرفضونه كما رفضه آباؤهم ، فكأنهم يوهمون بذلك أن رفضهم كان بعد بحثه والنظر فيه ، ثم قالوا: "إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" فميزوه وأبرزوه مرة ثانية فى صورة محسوسة وذلك بالتعبير باسم الإشارة بدلاً من الضمير ليتقرر الحكم عليه فى زعمهم أنه أساطير الأولين [٤] .

وقد قدم فى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : " نَحْنُ وَآبَاؤُنَا " على اسم الإشارة (هذا) ، وفى سورة النمل قدم اسم الإشارة فى قوله تعالى : " لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " [٥] . عليه ،

---

(١) سورة المائدة الآية (٧٨) .
(٢) انظر التحرير والتنوير ٢٩٢/٦ ، ٢٩٣ .
(٣) سورة المؤمنون الآية (٨٣) .
(٤) خصائص التراكيب ص / ١٥٧ .
(٥) سورة النمل الآية (٦٨) .

وذلك وفاء بحق المقام .

ثانياً : الأسرار البلاغية للعدول عن التعبير بالمضمر إلى التعبير باسم الإشارة :

١ـ كمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم غريب عجيب[1] .

واستعمال اسم الإشارة بدلاً من الضمير من الأساليب الشائعة في القرآن الكريم .

فمن ذلك قوله عزّ وجلّ : " وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [2] .

فقد وضع اسم الإشارة (أولئك) موضع الضمير (هم) للاعتناء بالمسند وتمييزهم بذلك الحكم ، وهو : أنهم يلتحقون بالمهاجرين الأولين والأنصار في استحقاق ما استحقوه من الموالاة والنصرة وكمال الإيمان والمغفرة والرزق الكريم ، وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتعظيم المشار إليه وسمو مكانتهم .

ومنه قوله تعالى : " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ " [3] .

فقد وضع اسم الإشارة أولئك موضع الضمير للإيذان بكمال تمييزهم بما هو فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك ، وللكناية

---

(١) انظر ذلك في مفتاح العلوم / ٩٤، والمطول / ١٢٨ ، وخصائص التراكيب/ ١٩٠، ومواهب الفتاح ١/٤٥٤ .

(٢) سورة الأنفال الآية (٧٥) .

(٣) سورة فاطر الآية (١٠) .

عن تمييز المكر المضاف إليهم ووضوحه فى علم الله عــزّ وجـلّ وعلـم رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بما أعلمه الله به منه فكأنما أشير إليهـم وإلى مكرهم باسم إشارة واحدة على سبيل الإيجاز [١]. وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للدلالة على ترامى أمرهم فى الطغيان وبعـد مـنزلتهم فـى العدوان .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : " وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُـمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ " [٢] .

فقد أشار سبحانه وتعالى باسم الإشارة (أولئك) إلى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذى وصفهم به ، فإن الإشارة إلـى الشئ بتعرضه له من حيث اتصافه بوصفه ، وأما الضمـير فـلا يتعـرض لوصفه، وللإيذان بأنهم مميزون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمـل تمييز نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسيّة [٣] . ومـا فـى اسـم الإشارة من معنى البعد للإشعار ببعض المطففين فى الشر والفساد .

٢ــ التهكم بالسامع والسخرية منه إذا كان لا يرى أو لم يكـن ثمـة مشار إليه [٤] .

ورد ذلك كثيراً فى القرآن الكريم ومن التهكم بالسامع والتعجب مـن أمره قوله تعالى : " ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَـرُوا فـي عِـزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ * وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ "[٥] .

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧٥/٢٢ .
(٢) سورة المطففين الآيات (١ــ٦) .
(٣) انظر روح المعانى للألوسى ٧٠/٣٠ .
(٤) انظر مفتاح العلوم للسكاكى ص / ٩٤ .
(٥) سورة ص الآيات (١-٤) .

فالإتيان باسم الإشارة (هذا) فى موضع الضمير إنمـــا هـــو للتهكـــم بالكفار إذا عجبوا من هذا الذى هو منذر منهم وليس فى مجئ منـــذر منهـــم ما يدعو إلى العجب بل إن موقفهم بإزاء هذا المنذر هو الداعى حقـــاً إلـــى التعجب من تمردهم وعنادهم [١] .

٣ــ التنبيه على كمال بلادة السامع وأنه لا يدرك غير المحسوس كما فى قول الفرزدق يفخر بآبائه ويهجوا جريراً :

أُولَئِكَ آبَائِى فَجِئْنِى بِمِثْلِهِم   إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

إذا كان مقتضى الظاهر ان يقول : هم آبائى لتقدم الحديث عنهم فـــى أبيات سابقة على هذا البيت ، ولكنه عدل عن استخدام الضمير وآثر استعمال اسم الإشارة ليعرض وينبه على غباوة جرير وكمال بلادته حتى إنه لا يدرك إلا المحسوس .

ومن شواهده فى القرآن الكريم قوله تعالى : " يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَـــارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَـــا تُكَذِّبُـــونَ * أَفَسِـــحْرٌ هَـــذَا أَمْ أَنتُـــمْ لا تُبْصِرُونَ" [٢] .

فلو جاء الكلام فى غير القرآن الكريم لقيل : هـــى النـــار ، وأفهـــو سحر ، ولكن النظم القرآنى عدل عن الإضمار إلى اسمى الإشارة للتنبيه على عمى بصيرة المشركين ، وكأنهم لا يدركون سوى المشاهدات الحسيّة المشار إليها .

٤ــ التنبيه على كمال فطنة السامع وأن غير المحسوس عنده بمثابة المحسوس فى الوضوح والبيان والإدراك ، كأن يدور بينك وبين زميل لـــك حديث عن موضوع ما، فتقول معلقاً : هذا أمر مفهوم، والأصل هـــو أمـــر

---

(١) انظر علوم البلاغة للمراغى ص / ٢٠٦ ، وأساليب بلاغية للدكتور أحمد مطلـــوب ص / ٢٤٩ .
(٢) سورة الطور الآيات (١٣ــ١٥) .

مفهوم فتأتى بالضمير لتقدم مرجعه فى معرض الحديث لكنك عدلت عنه إلى اسم الإشارة تنبيهاً على كمال فطنة المخاطب وأن المعقول عنده كالمحسوس.

٥ـ ادعاء كمال ظهور المشار إليه وتمام بيانه حتى كأنه ـ وهو معقول ـ محسوس بحاسة البصر . كقول ابن الدمينة :

تَعَاللْتِ كَىْ أَشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ تُرِيدِينَ قَتْلِى قَدْ ظَفَرْتِ بِذَلِكَ

فمقتضى الظاهر أن يقول : قد ظفرت به ، ولكن الشاعر عدل عن الضمير إلى اسم الإشارة للدلالة على أن قتله ـ مع أنه أمر عقلى ـ صار حقيقة مجسدة يشار إليها كما أشار إلى المحسوسات الواضحة ويلاحظ أنه جعل مجرد تصنع العلة يصيبه بالحزن الذى يقتله ، وقد قتله فعلاً ؛ لأنها ظفرت به ، وفى التعبير باسم الإشارة الدال على البعد دلالة على أن قتله أمر بعيد المنال صعب التحقيق ، ولكنها قد ظفرت به من أيسر الطرق وأهونها [١] .

ولو أن الشاعر قال : قد ظفرت به ، لما كان التعبير على هذا المستوى من الحس والقوة ؛ لأنه تفوته الإشارة إلى ادعاء ظهور قتله، وأنه مما لم يظفر به من يبتغيه [٢] .

ومن ذلك فى القرآن الكريم قوله تعالى : " مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ " [٣] .

فقد عبّر باسم الإشارة (تلك) فى موضع الضمير للدلالة على كمال النعيم وتمام ظهوره فقد بلغ الغاية فى الظهور والبيان حتى صار مدركاً بالحواس [٤] .

---

(١) انظر دراسات فى علم المعانى د / عبد الجواد طبق ص / ٩٩ .
(٢) خصائص التراكيب ص / ١٥٦ .
(٣) سورة الرعد الآية (٣٥) .
(٤) سورة فصلت الآية (٢٢ ، ٢٣) .

ومنه قوله عزّ وجلّ : " وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ " [1] .

فقد جاء التعبير باسم الإشارة (ذلكم) فى موضع الضمير للإيذن ببلوغ ظنهم الغاية فى الظهور والبيان حتى صار كأنه مدرك بالحواس مشار إليه ، وفيه أيضاً تمييز لهذا الظن أكمل تمييز وتشهير بشناعته للدلالة على ضلالهم [2] . وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بلوغ المشار إليه الغاية فى الشر والفساد .

---

(١) سورة فصلت الآية (٢٢ ، ٢٣) ، وانظر البحر المحيط لأبى حيان ٣٩٦/٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ٢٥٩/١ .

(٢) انظر البحر المحيط لأبى حيان ٤٩٢/٧ ــ ٤٩٣ .

المبحث الثالث

اسم الإشارة بين النحاة والبلاغيين

بعد الاستعراض السابق لتناول النحاة والبلاغيين لاسم الإشارة، وبعد معايشة للموضوع أجد نفسي قد توصلت إلى رأي يمكن الاعتداد به والاطمئنان إليه على ألا يكون هو الرأي الوحيد الذي يقف عنده الباحثون، فباب البحث مفتوح لمن يعثر على رأي آخر يخالف أو يوافق ويقوي ما وقعت عليه .

ومن المعلوم ــ كما أشرت سابقاً ــ أن البلاغيين قد تناولوا اسم الإشارة بالبحث عند حد :

١ــ تعريف المسند إليه باسم الإشارة .

٢ــ خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر .

ويتضح ذلك جلياً عند قراءة ما استهل به الإمام عبد القاهر الجرجاني كتابه الرائع دلائل الإعجاز حيث يقول : " معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل، وتعلقحرف بهما ، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه، و حالاً منه ، أو تابعاً له صفة أو تأكيداً أو عطف بيان ، أو بدلاً أو عطفاً بحرف ، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني ، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل .. وأما تعلق الاسم بالفعل ، فبأن يكون فاعلاً له، أو مفعولاً .. أو مفعولاً به .. أو ظرفاً .. أو مفعولاً معه .. أو مفعولاً له.. أو بأن يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول .. وأما تعلق الحرف بهما فعلى ثلاثة أضرب .. " (١) .

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني (٤ــ٨) .

ونقرأ قوله فى تفصيل مراده من النظم حيث يقول : " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التى رسمت لك ، فلا تخل بشئ منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ننظر فى وجوه كل باب وفروقه .. فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجئ به حيث ينبغى له .. ويتصرف فى التعريف والتنكير والتقديم والتأخير فى الكلام كله، وفى الحذف والتكرار والإضمار والإظهار فيصيب بكل من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغى له [١] .

ونقرأ تعليقه على قول ابن البواب :

وإنْ قتَلَ الهَوَى رَجُلا فإنِّى ذَلِكَ الرَّجُلُ

" انظر إلى الإشارة والتعريف فى قوله : فإنى ذلك الرجل"[٢].

وبعد أن ذكر أمثلة كثيرة لمزايا النظم بحسب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام ، وبحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض نجده يقول :

" ليس من بصير عارف بجوهر الكلام ، حساس متفهم لسر هذا الشأن ينشد أو يقرأ هذه الأبيات إلا لم يلبث أن يضع يده فى كل بيت منها على الموضع الذى أشرت إليه ، يَعْجَب ويُعَجِّبُ ويُكْبِرُ شأن هذه المزية فيه والفضل [٣] " .

وبتأمل تلك النصوص عند عبد القاهر الجرجانى يتضح لنا أن فكرة بحث الجرجانى لاسم الإشارة من الناحية البلاغية قد مرت بمراحل عدة:

ــ المرحلة الأولى : وفيها نبتت الفكرة ، ونجدها فى قوله وهو ينبه

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجانى ص / ٨١ـ٨٢ .
(٢) السابق ص / ٩١ .
(٣) السابق ص / ٩٢ .

على طرفى الجملة المسند إليه والمسند : " .. لا يكون كلام من جزء واحد وأنه لابد من مسند ومسند إليه " [١] .

ـ المرحلة الثانية : وفيها نمت الفكرة واتضحت القضية عنده وتجدها فى قوله وهو يوضح صور التعبير فى الإسناد والمسند إليه والمسند، وأن لكل صورة من هذه الصور غرضاً خاصاً وفائدة لا تكون مع الباقى : "... لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه .. الخ " [٢] .

ـ المرحلة الثالثة : وفيها ازدهرت الفكرة وتبلورت وأثمرت وتراها فى تعليقه على قول ابن البواب السابق .. " فإنى ذلك الرجل ، انظر إلى الإشارة والتعريف فى القول السابق " [٣] .

فصرح باسم الإشارة والتعريف وأمر المتأمل أن يضع يده على الموضع الذى أشار إليه لكى يَعْجَبُ ويُعَجِّبُ ويُكْبِرُ شأن ما يعثر عليه وما يتضح له من مزية .

وبهذا يمكن القول : إن عبد القاهر الجرجانى هو تقريبا يعد من أوائل ، بل هو ـ فيما أعرف ـ أول من كشف الستار عن اللبنة الأولى لدراسة أحوال المسند إليه ومنها تعريفه باسم الإشارة ، ولا أقول هو أول من وضع اللبنة الخاصة بها ؛ لأن هذه الدراسة كانت شائعة عند المتقدمين منذ الخليل بن أحمد الفراهيدى ت (١٧٥) هـ إلى عهده ، ولكنها كانت على شكل ملاحظات جزئية متفرقة وليست فى شكل علمى منظم ـ كما فصلها عبد القاهر ـ حتى ينسب الفضل إليهم ، بل الفضل يرجع إلى من ضم هذه الأبواب فى سلك واحد عرف باسم (علم المعانى) [٤] .

---

(١) السابق ص / ٧ .
(٢) السابق ص / ٨١ .
(٣) السابق ص / ٩١ .
(٤) انظر : البلاغة تطور وتاريخ أ. د / شوقى ضيف / ١٦٧ـ١٧٠، وأثر النحاة فى =

كما يمكن القول : إن الجرجانى لا يُعْنى بالمعنى الأصلـي فحسـب وإنما يصب اهتمامه على المعانى الإضافية التى تعطيها العبارة من خـلال تعريف المسند إليه أو تنكيره أو ذكره أو حذفه أو تقديم لفظ بعينه ، ولنقرأ ما قاله عبد القاهر مرة أخرى ليتضح صدق ما نقول : " ليس من بصير عارف بجوهر الكلام حساس متفهم لسر هذا الشأن ينشد أو يقرأ هذه الأبيات إلا لـم يلبث أن يضع يده فى كل بيت منها على الموضع الذى أشرت إليه يعجـب ويجعّب ويكبر شأن هذه المزية فيه والفضل " .

ثم جاء الزمخشرى (٥٣٨) هـ بعد عبد القاهر وترسم خطـاه فـي تكوين الذوق الأدبى والبلاغى فطبق فى تفسيره " الكشاف " آراء عبد القاهر تطبيقاً نموذجياً محللاً مستقصياً حتى أوفى على الغاية فتراه يقف أمام الآيات القرآنية مبدياً إعجابه بأساليبها والتئام ألفاظها ودقة معانيهـا فيبحـث عـن أسـرار جمالها فيجده فى أبواب البلاغة ، فذا وضع يده على النكت البلاغية شرحها وأسهب فى تفاصيلها حتى يأخذ بمجامع الألباب [١] . ولنقرأ تعليقـه وتناوله لقوله تعالى : " أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [٢]، حيث يقول : " وفى اسم الإشارة الذى هو (أولئك) إيذان بأن ما يرد عقيبـه، فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التى عددت لهم " [٣] . وهذا المعنى واضح فى كتب المتأخرين بل قد أخذ بلفظـه ومعنـاه مـن تفسـير الكشاف[٤] .

وقد يشير اسم الإشارة إلى معنى التحقير والتصغير ، كما أنـه قـد يشير إلى معنى التعظيم والتنويه سواء أكان للقريب أم للبعيد ، والسياق هـو الذى يكشف عن هذه الإشارات ويبرزها ، وللزمخشرى فى هذا كلام يوضح

== البحث البلاغى أ . د . / عبد القادر حسين ص / ٣٧٣ـ٣٧٧ ، ٣٠٤.

(١) انظر المختصر فى تاريخ البلاغة أ . د / عبد القادر حسين ص / ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة الآية (٥) .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى ٢٤/١ .

(٤) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى للدكتور محمد أبو موسى / ٢٥٧ .

نظرته الذوقية الواعية التى تمرست بدراسة النصوص واحتكت احتكاكاً قوياً بضروب الإبداع والإعجاز ، وحسبه تفسيره الكشاف يظهر هذا الأمر .

فن دلالة اسم الإشارة على التحقير ما ذكره الزمخشرى فى قوله تعالى : " مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً " [١] ، يقول: " وفى قولهم " مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً " استرذال واستحقار كما قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى عبد الله بن عمرو بن العاص : يا عجباً لابن عمرو هذا " [٢] .

ومن دلالة اسم الإشارة على التعظيم قوله تعالى : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" [٣] .

يقول الزمخشرى : " وأشار إليها إشارة تعظيم وتقريب دالاً على أنها موطن نبيّه ومهبط وحيه [٤] .

ومنه ما نص عليه فى قوله تعالى : " فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ" [٥] .
ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربأ بحاله واستبعاد المحلة " [٦] .

وقد يرمز اسم الإشارة إلى تصوير المعانى حتى تكون كأنها مرئية فيشير إليها وذلك فى مواقف التأكيد والتقرير [٧] .

يقول الزمخشرى فى قوله تعالى : " هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا " [٨] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦) .
(٢) الكشاف ٥٧/١ .
(٣) سورة النمل الآية (٩١) .
(٤) الكشاف ١٥٥/٣ .
(٥) سورة يوسف الآية (٣٢) .
(٦) الكشاف ٢٥٤/٢ .
(٧) البلاغة القرآنية ص / ٢٥٧ .
(٨) سورة الكهف الآية (٧٨) .

فإن قلت : هذا إشارة إلى ماذا ؟ قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى : " إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي"(١) . فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول : هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ " (٢) .

وهكذا ترى الزمخشري يعد لاكتمال البناء ويتوسع توسعا شديدا في تناول النواحي البلاغية بعد الجرجاني ومنها : تعريف المسند إليه باسم الإشارة .

ثم جاء السكاكي (٦٢٦) هـ ، بعد ذلك ووسع مجال البحث توسيعاً شديداً ، وأعطى للبلاغة صيغة مكتملة ، عكف عليها العلماء من بعده غير أنه لم يشفع ذلك بتحليلات عبد القاهر الجرجاني والزمخشري؛ بل أصبحت البلاغة لديه منضبطة في قوانين وقواعد ذات قوالب منطقية جامدة وجافة وغدت قواعد كقواعد النحو ، وتجردت من التحليلات الذوقية والدلالية التي تملأ النفوس إعجابا ، ولنقرأ ما قرره في تعريف المسند إليه باسم الإشارة: "وأما الحالة التي تقتضي كونه اسم إشارة فهي متى صح إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حساً واتصل بذلك داع مثل أن لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها ، أو أن تقصد بذلك أكمل تمييز له وتعيين كقوله :

هَذَا أبُو الصَّقْرِ فَرْداً في مَحَاسِنِهِ   مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِّ والسَّلَمِ

وقوله :

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوا أَحْسَنُوا البُنَا   وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفُوا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

أو : أن يقصد بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك : هذا وذلك وذاك ثم تتفرع على ما ذكره وجوه من الاعتبار مثل أن تقصد بذلك

---

(١) سورة الكهف الآية (٧٦) .
(٢) الكشاف ٣٩٩/٢ .

كمال العناية بتمييزه وتعيينه كقوله عزّ وجلّ : " أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " [١] .

أو : أن تقصد بذلك أن السامع غبى لا يتميز الشئ عنده إلا بالحس كقول الفرزدق فى خطابه جريراً :

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِم   إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

أو : أن تقصد بقربه تحقيره واسترذاله كما قالت عائشة : يا عجبا لابن عمرو هذا ، محقرة له وهو عبد الله بن عمرو بن العاص، وكما يحكيه عزّ وعلا عن الكفار : " مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً " [٢] ، وفى موضع آخر "أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً " [٣]، وفى موضع آخر : " أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ"[٤] . ومنه : " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ " [٥] . وكما يحكيه القائل عن امرأته :

تَقُولُ وَصَكَّتْ نَحْرَهَا بِيَمِينِهَا   أَبَعْلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسُ؟!

وببعده تعظيمه كما تقول فى مقام التعظيم : ذلك الفاضل وأولئك الفحول ، وكقوله عزّ وعلا : " الم ذَلِكَ الْكِتَابُ " [٦] ذهاباً إلى بعده درجة وقولها فيما يحكيه جلّ وعلا: " فذلكن الذى لمتننى فيه"[٧]. ولم تقل فهذا ، ويوسف حاضر رفعاً لمنزلته فى الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به واستبعاد المحلة . ومن التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى : " وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا " [٨] ، أو خلال تعظيمه كما تقول : ذلك اللعين ، وما سوى ذلك

---

(١) سورة البقرة الآية (٥) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٦) .
(٣) سورة الفرقان الآية (٤١) .
(٤) سورة الأنبياء الآية (٣٦) .
(٥) سورة العنكبوت الآية (٦٤) .
(٦) سورة البقرة الآية (١ــ٢) .
(٧) سورة يوسف الآية (٣٢) .
(٨) سورة الزخرف الآية (٧٢) .

مما له انخراط فى هذا السلك ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط " [١] .

ثم يقول فى إخراج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر : "واعلم أن جميع ذلك هو مقتضى الظاهر ثم قد يخرج المسند إليه لا على مقتضى الظاهر فيوضع اسم الإشارة موضع الضمير وذلك إذا كملت العناية بتمييزه ، إما لأنه اختص بحكم بديع عجيب الشأن كقوله:

كَمْ عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مَذاهِبُه ... وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلقاه مَرْزُوقَا

هَذَا الّذِى تَرَكَ الأوهامَ حائرةً ... وصَيَّر العَالِمَ النحريرَ زنديقا

وإما لأنه قصد التهكم بالسامع والسخرية منه كما إذا كان فاقد البصر أو لم يكن ثمّ مشارٌ إليه أصلاً، أو النداء على كمال بلادته بأنه لا يميز بين المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، أو قصد ادعاء أنه ظهر ظهور المحسوس بالبصر كقوله :

تَعَالَلْتِ كَىْ أشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ ... تُريدينَ قَتْلِى قَدْ ظَفَرْتِ بِذَلِكَ

وما شاكل ذلك " [٢] .

ومن هذين النصين للسكاكى يتضح ما يلى :

أنه قد قنن لمن جاء بعده دواعى تعريف المسند إليه باسم الإشارة ، ودواعى وضع اسم الإشارة موضع الضمير فى صورة منطقية خالية من التحليل ، وإن كانت المحاولة لا تخلو من جانب إيجابى يتمثل فى ضبط مصطلحات البلاغة وأصولها ضبطاً علمياً ومحاولة تقنينها وجمعها، وربما كان هذا اللون من الفكر بحاجة إلى تقنين السكاكى لينضبط فى وقت تَهَدَّدَتْ فيه السليقة العربية بفساد الأذواق وتضاؤل الطبع فى نفوس العرب نتيجة عوامل عدة منها : امتزاج العرب بالشعوب المغلوبة ، والصراعات الداخلية والانقسامات وتربص أعداء العرب والمسلمين بهم من صليبيين وتتر

---

(١) انظر المفتاح ص / ٨٧ـ٨٨ .
(٢) المفتاح ص ٩٤ .

وما صحب ذلك من ضياع فكرى وجمود امتد منذ القرن السادس الهجـــرى حتى القرن الثانى عشر تقريباً حيث طفـــت فكـــرة التلخيصـــات وشــروح التلخيصات [١] ، ودار هذا الفكر فى دائرة مغلقة ضيقة ، وكان المفـــروض على من جاءوا بعد السكاكى ألا يسجنوا أنفسهم داخل تلك الدائرة ، وهو مـــا تنبه إليه بعض من يتصدون لدراسة الدرس البلاغى حديثاً [٢] على تفاوت فى درجة المحاولة [٣] .

ويتضح أيضاً من نصى السكاكى مدى تأثره الواضح من الزمخشرى وكشافه وإن لم يشر إلى ذلك فهو يستخدم عبارته بالضبط، ولكن مزية مـــا فعله السكاكى أنّه لم شتات هذه الإشارات لدى الزمخشرى فى تفســـيره فـــى مكان واحد ييسر على الباحثين والشارين فى هذا المجال .

---

(١) منها التبيان فى علم البيان للزملكانى ، والإيضاح للقزوينى ، والطـــراز للعلـــوى ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجنى ، والفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان لابن قيم الجوزية ، والمطول والمختصر للتفتازانى، والجمان ، وشرح عقـــود الجمان للسيوطى .. وغير ذلك كثير .

(٢) منهم الأستاذ المراغى فى كتابه علوم البلاغة البيان والمعانى والبديع ، وعلى الجندى فى فن التشبيه وفن الجناس ، ود / بدوى طبانة فى كتبه البيان العربى وعلم البيـــان ، وأبو هلال العسكرى ، ود / عبد الفتاح لاشين المعانى والبيان والبديع ، والدكتـــور / شفيع السيد فى علم البيان ، والدكتور / محمد أبو موسى فى كتبه خصائص التراكيب، ودلالات التراكيب والتصوير البيانى .. وغير ذلك من الدراسات كثير .

(٣) انظر البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية د / سعيد أبو الرضا ص / ١٢.

الخاتمـــــة :

وبعد .. فمن خلال المعايشة لكل من النحاة والبلاغيين فى دراستهما لاسم الإشارة يتضح نتيجة ما تقدم عرضه وهى على النحو التالى :

١ـ اهتم النحاة فى دراستهم بالتعريف باسم الإشارة ودوران المشار إليه بين الحسيّة والعقلية ، وتقسيم أسماء الإشارة بحسب المشار إليه من ناحيـــة الإفراد والتثنية والجمع (بنوعيهما) والفعل وعدمــــه والقــرب والبُعــد والتوسط ، وبيان لواحق أسماء الإشارة والمواضع التــى يمتنــع فيهــا اجتماع هذه اللواحق معهما والأسماء التى يشــــار بهــا إلــى الظــرف واستعمالات أسماء الإشارة فى الأساليب العربية.

٢ـ عدم تغلغل النحاة إلى معرفة دقائق الكلام ووجوهه لأن دراستهم منصبة على دراسة الأحوال التى توجب معرفتها صحة التراكيب.

٣ـ تأثّرَ البلاغيون بالنحاة فى توضيح بعض الأسرار البلاغية لاسم الإشارة منها :

أ ـ تجسيد المشار المعنوى ، فلقد قرر النحاة أن الإشارة نفسها لابد أن تكون بالجارحة وأما المشار إليه فقد يكون حسيًا وهو الغالب كـــأن تشير بأحد أصابعك إلى رجل وتقول : ذا رجل ، وقد يكون معنوياً، كأن تتحدث فى مسألة فى نفسك وتقول : ذى مسألة تتطلب التفكير.

ب ـ بيان حال المشار إليه فى القرب أو البعد أو التوسط ، فلقد ذكـــر النحاة أن المشار إليه قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً وقـــد يكــون متوسطاً .

جـ ـ قيام اسم الإشارة مقام أدوات الربط فيصـــل الجمـــل المســتأنفة والجمل المتقدمة ، فلقد وضح النحاة أثناء حديثهم عن اســـتعمالات اسم الإشارة فى الأساليب العربية أن اسم الإشارة يستعمل لــــلربط بين الجملة الواقعة خبراً وبين المبتدأ حتى لا يصير الكلام مفككاً لا

معنى له لانقطاع الصلة بين أجزائه .

٤ــ الأسرار البلاغية لاسم الإشارة لا تكاد تحصى كمـــا قـــال الســـكاكى: "ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط " [١] . وكما قال العلوى : "ولطائف هذا الجنس لا تكاد تنحصر ومواقعه أكثر من أن تحصى"[٢].

٥ــ يعد الإمام عبد القاهر الجرجانى ــ فيما أعرف ــ أول من كشف الستار عن اللبنة الأولى لدراسة أحوال المسند إليه ومنها تعريفه باسم الإشارة ، ثم جاء الزمخشرى ، وترسم خطاه وأعد لاكتمال البناء وتوسع توســـعاً شديداً فى تناول النواحى البلاغية للتعبير باسم الإشارة مطبقاً ذلك فـــى تفسيره للقرآن الكريم فى كتابه الكشاف، ثم جاء السكاكى ووسع مجـــال البحث توسيعاً شديداً وأعطى للبلاغة ، ومنها التعبـــير باســـم الإشـــارة صيغة علمية متكاملة مترسماً خُطا من سبقه ، وقد تأثر به العلماء مـــن بعده تأثراً شديداً .

وبعد .. فأرجو أن أكون قد أديت حق هذا الموضوع بيـــن النحـــاة والبلاغيين بصورة توضح مواقعه ودلالاته وتفيد فى هذا المجال ، وإلا فهو الاجتهاد فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر المحاولة ، والله أســـأل التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكى ص / ٨٨ .
(٢) الطراز ٣/٢٦٤ .

قائمـــة المراجع

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ، للبناء ، طبعة عبد الحميد حنفى .

٣ـ الإتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين السيوطى ، تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م .

٤ـ أثر النحاة فى البحث البلاغى ، د / عبد القادر حسين ، دار النهضـــة ، مصر ، سنة١٩٧٥ م .

٥ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبى حيان الأندلسى ، تحقيـــق د / مصطفى النماس ، مكتبة الخانجى ، القاهرة .

٦ـ أساليب بلاغية ، د / أحمد مطلوب ، الطبعـــة الأولـــى ، دار غريـــب للطباعة والنشر .

٧ـ الأشباه والنظائر ، جلال الدين السيوطى ، دار الكتب العلمية ، الطبعـــة الأولى ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٨٤ م .

٨ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحوييـــن البصرييـــن والكوفييـــن ، للأنبارى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، سنة ١٩٨٢ م .

٩ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضى ناصر الدين البيضاوى ، مطبعة مصطفى الحلبى ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٥ م .

١٠ـ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، عبد المتعال الصعيدى ، مطبعة محمد على صبيح ، سنة ١٩٧٣ م .

١١ـ البلاغة تطور وتاريخ ، د / شوقى ضيف ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، سنة ١٩٨١ م .

١٢ـ البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية ، د / سعيد عبد الرضا ، الطبعة الأولى ، الطوبجى سنة ١٩٨٤ .

١٣ـ البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية ، د / محمد أبو موسى ، دار الفكر ، مصر .

١٤ـ التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان للطيبى ، تحقيق د / هادى عطية قطر الهلال ، عالم الكتب ، بيروت ، سنة ١٩٨٧ م .

١٥ـ تفسير البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر ، سنة ١٩٨٣م.

١٦ـ تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، سنة ١٩٨٤ م .

١٧ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للمرادى ، تحقيق د / فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣ م .

١٨ـ حاشية الإنبابى على الرسالة البيانية للصبان .

١٩ـ حاشية السيد الشريف على الكشاف ، طبعة مصطفى الحلبى ، سنة ١٩٧٢ م .

٢٠ـ حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، طبعة عيسى الحلبى .

٢١ـ حاشية عبد الحكيم السيالكونى علىالمطول ، طبعة الحاج محرم.

٢٢ـ حروف المعانى للزجاجى ، تحقيق د / على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٤ م .

٢٣ـ الخصائص ، صنعة أبى الفتح ابن جنى ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

٢٤ـ خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، د/ محمد أبو موسى ، دار التضامن ونشر مكتبة وهبة .

٢٥ـ دراسات فى علم المعانى فى ضوء النظم القرآنى ، د / عبد الجواد طبق ، مطبعة الأمانة ، سنة ١٩٨٦ م .

٢٦ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، تأليف محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة .

٢٧ـ دلائل الإعجاز ، لعبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة .

٢٨ـ ديوان الأعشى ، دار صادر ، بيروت .

٢٩ـ ديوان ذى الرمة ، كارليل هنرى مكارتنى ، عالم الكتب .

٣٠ـ ديوان رؤبة بن العجاج فى مجموع أشعار العرب ، تحقيق وليم بن الورد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٠م .

٣١ـ ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق مهدى محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣٢ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، للألوسى ، مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٣٣ـ سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، للشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

٣٤ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث .

٣٥ـ شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى، طبعة عيسى الحلبى .

٣٦ـ شرح ديوان الحماسة لأبى تمام للخطيب التبريزى ، عالم الكتب، بيروت .

٣٧ـ شرح الشاطبية ، لابن القاصح ، طبعة محمد مصطفى .

٣٨ـ شرح الكافية ، للرضى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٩ـ شرح المفصل ، لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت .

٤٠ـ شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان ، للسيوطى ، طبعة مصطفى الحلبى ، سنة ١٩١٩ م .

٤١ـ شروح التلخيص ، طبعة مصطفى الحلبى .

٤٢ـ الشكل والدلالة ، دراسة نحوية للفظ والمعنى، د / عبد السلام حامد ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة .

٤٣ـ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، للعلوى اليمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة ١٩٨٠ م .

٤٤ـ علم المعانى دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعانى، د / بسيونى فيود ، دار السعادة ، سنة ١٩٨٧ م .

٤٥ـ علوم البلاغة ، للمراغى ، الطبعة السادسة ، العربية .

٤٦ـ غيث النفع فى القراءات السبع بهامش شرح الشاطبية .

٤٧ـ فى علم المعانى ، د / حمزة الدمرداش زغلول ، دار الطباعة المحمدية، سنة ١٩٨١ م .

٤٨ـ فى علم النحو ، د / أمين السيد ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، سنة ١٩٨٦ م .

٤٩ـ قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

٥٠ـ الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧ م .

٥١ـ كتاب السبعة فى القراءات، لابن مجاهد ، تحقيق د / شوقى ضيــف ، دار المعارف ، مصر .

٥٢ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقــاويل فــى وجــوه التــأويل للزمخشرى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٥٣ـ لسان العرب ، لابن منظور الأفريقى المصرى ، نسخة دار المعارف .

٥٤ـ مختار الصحاح ، لأبى بكر الرازى ، طبعة مصطفى الحلبى ، ســنة ١٩٥٠ م .

٥٥ـ المختصر فى تاريخ البلاغة، د / عبد القادر حسين ، دار المعــارف ، سنة ١٩٨٢ م .

٥٦ـ مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، لابــن خالويــه ، مكتبــة المتنبى .

٥٧ـ مشكل إعراب القرآن ، لمكى القيسى ، تحقيــق د / حــاتم فيــاض ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٩٨٤ م .

٥٨ـ المصباح فى المعانى والبيان والبديع ، لابن الناظم ، تحقيق د / حسنى عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، سنة ١٩٨٩ م .

٥٩ـ المطول على التلخيص ، لسعد الدين التفتازانى ، طبعة أحمد كــامل ، سنة ١٣٣٠ هـ .

٦٠ـ معانى القرآن للأخفش ، تحقيق د / هدى قراعة ، مكتبــة الخــانجى ، القاهرة .

٦١ـ معانى القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق د / عبد الجليل شلبى ، عــالم الكتب ، ط ١ ، سنة ١٩٨٨ م .

٦٢— معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع البحوث الإسلامية ، راجعه محمد فهيم أبو عبية ، مكتبة لبنان ، بيروت .

٦٣— معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، د / محمد سمير نجيب اللبدى، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٨ م .

٦٤— المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٩٢ م .

٦٥— مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام الأنصارى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد على صبيح .

٦٦— مفتاح العلوم للسكاكى ، مصطفى الحلبى ، سنة ١٩٣٧ م .

٦٧— المفردات فى غريب القرآن ، للأصفهانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، طبعة مصطفى الحلبى ، سنة ١٩٦١ م .

٦٨— المقتضب ، لأبى العباس المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، سنة ١٩٧٩ م .

٦٩— المقرب لابن عصفور الأشبيلى ، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى ، رئاسة ديوان الأوقاف ، إحياء التراث الإسلامى ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧١ م .

٧٠— من هدى القرآن الكريم تفسير بلاغى لسورة المؤمنون ، د / بسيونى فيود ، السعادة ، سنة ١٩٨٨ م .

٧١— مواهب الفتاح ، لابن يعقوب ، ضمن شروح التلخيص، طبعة عيسى الحلبى .

٧٢— النحو الوافى ، أ / عباس حسن ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة السابعة ، سنة ١٩٨١ م .

٧٣ـ النشر فى القراءات العشر ، لابن الجـذرى ، تحقيـق علـى محمـد الضباع، دار الكتاب العربى .

٧٤ـ هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك ، للشيخ محمد محيى الديـن عبد الحميد على هامش أوضح المسالك ، دار إحياء التراث العربـى ، بيروت، لبنان .

٧٥ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربيـة ، لجـلال الديـن السيوطى ، عنى بتحقيقه محمد بدر الدين النعسـانى ، دار المعرفـة ، بيروت .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
٩٢٧٣ / ٢٠٠١
الرقم الدولى
I.S.B.N
977-222-248-5